توزع مجانا عبر البريد الالكتروني

مجلة الإصلاح

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

129

العدد 129 - السنة 7 - أفريل 2018 / رجب- شعبان 1439

يصدرها منتدى الفارابي للدراسات والبدائل

الانتقال الديمقراطي في تونس: تكرار الأخطاء

(م. فيصل العش)

في مواجهة الفقر

(نجم الدين غربال)

الأزمة ضرورة لبدْءِ فكري ثوري

(د. لطفي زكري)

المسرح في القرآن: التأصيل والمفهوم

(محمد الصّالح الضّاوي)

معالم إسلاميّة

الحرم المكّي - الحجّاج حول الكعبة الشريفة
موسم الحج 1328 هـ / ديسمبر 1910

مجلّة الإصلاح

مجلّة إلكترونيّة
فكريّة ثقافيّة جامعة
***
السنة السابعة

تصدر عن منتدى الفارابي للدراسات والبدائل
ص.ب 353، سيدي عبّاس 3062 صفاقس، الجمهورية التونسية
ر.د.م.د : 2902 – 2382.
هذه النسخة الكترونية - يحجّر نسخها ورقيّا

رجب-شعبان 1439
أفريل 2018
129

http://www.alislahmag.com

هدف مجلّة الإصلاح بلورة فكر وسطيّ يتفاعل مع محيطه ويقترح حلولا لمختلف مشاكله الفكريّة والسّياسيّة والاجتماعيّة. وتسعى أن تكون حاضنة لأفكار ورؤى تناضل من أجل بناء دولة فلسفتها خدمة المواطن، ومجتمع مبني على التّعاون والتآزر والعيش المشترك في كنف الحريّة والمساواة. هي منبر للتّحليل واقتراح البديل من دون تشنّج إيديولوجيّ ولا تعصّب لفئة دون أخرى. يحلم القائمون عليها مواصلة ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم، منطلقون من الواقع الذي يعيشون فيه، متمسّكون بهويّتهم العربيّة الاسلاميّة ومنفتحون على العصر وعلى كلّ فكرة أو مشروع يؤدّي إلى الإصلاح.

للمشاركة في تأثيث المجلّة

* النشر بالمجلّة تطوعي وبدون مقابل و يتحمّل فيه الكاتب مسؤولية أفكاره وكتاباته.
* للمجلّة كامل الصلاحيّة في نشر أو رفض المشاركات.
* لا تقبل المشاركات التي تدعو إلى العنف أو التّمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدّين أو تتضمّن شتما أو معلومات من دون ذكر المصدر.

للاتصال بالمجلّة

* توزع المجلّة مجانا عبر البريد الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي
* رئيس التحرير : فيصل العش، faycalelleuch@gmail.com
* مراجعة لغويّة : علي عبيد – فيصل الرباعي.
* ر.د.م.د : 2902 – 2382.
* البريد الالكتروني للمجلّة : alislah.mag@gmail.com
* موقع الواب : www.alislahmag.com
* صفحة الفايس بوك : alislah.mag

الافتتاحية

بهذا العدد نفتتح على بركة الله سلسلة جديدة من أعداد مجلّة «الإصلاح» نؤثث بها السّنة السابعة من عمر ها، آملين أن تنال إعجاب القراء الكرام. وبهذه المناسبة السعيدة يسرنا أن نتقدّم بجزيل الشكر لكلّ من ساهم معنا سواء من تونس أو من خارجها في تأثيث أعداد السنوات الست التي مرّت على ميلاد هذه المجلّة الالكترونية (128 عددا) ونشكر ونحيّي قراءنا الأوفياء من مختلف أقطار الأرض الذين من دونهم نفقد شرعيّة الوجود ومنهم نستمدّ الدّافع والقوّة الكافية لمواصلة المشوار وإنجاز المجلّة ونشرها في مواعيدها المحدّدة. فلا خير في مجلّة لا قرّاء لها.وكل عام وقراء المجلّة وكتّابها بخير.

ستلاحظون بلا شكّ سعيينا إلى إدخال بعض التغييرات في شكل المجلّة حتّى نقدّمها للقراء في حلّة مختلفة تسرّ العين وتبعث في النفس حبّ القراءة الالكترونية مع المحافظة على اعتماد أحد الألوان الثلاثة «الأزرق والأخضر والبرتقالي» لكلّ عدد بالتداول وهي ألوان رمزية تعبّر عن طبيعة المجلّة ، فاللون الأخضر يرمز إلى الهويّة العربيّة الإسلاميّة كما يرمز إلى التجدّد والسّلام والنماء والطبيعة النظيفة ويرمز اللون الأزرق إلى السلام، والوحدة، والانسجام، والهدوء، والثقة والبقاء على العهد فيما يرمز اللون البرتقالي إلى الطّاقة والوضوح والثورة.

وقد حافظنا أيضا على أهمّ الأركان التي نالت رضاء القراء الذين يصلنا نقدهم باستمرار والذي بدونه لا نتطوّر فلا أمل في التحسّن من دون نقدهم ومقترحاتهم.

وإذ نذكّر بأن الكتابة في مجلّة «الإصلاح» تدخل في باب التطوّع، يقوم به مؤمنون بأن الكتابة رسالة وأنها شكل من أشكال النضال من أجل بناء فكر جديد قادر على الإجابة عن الأسئلة الحارقة التي تشغل بال أبناء هذه الأمّة، فإننّا ندعو كل من يشاركنا هذا الإيمان و يقاسمنا الطموح في بلورة مشروع يؤدّي إلى إصلاح عميق يقضي على معوقات النهضة ويؤمن بقيم المواطنة والحرية والعدالة، مهما كان مختلفا معنا في الرأي أو في الأرضية الفكرية، أن يساندنا في تأثيث المجلّة بمقالاته شرط أن تتوفر في هذه المقالات اللّغة السليمة والنقد بالحجّة والبرهان والفكرة التي تساعد على الخروج من خندق التخلّف والتبعيّة.

ونحن من موقعنا كقائمين على المجلّة، نعاهد قراءنا على مزيد بذل الجهد من أجل توفير المضمون الجيّد والمفيد، آملين أن نواصل معا ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم.

العدد

حكمة

ما قلّ ودلّ

http://www.alislahmag.com

لا أحبّ الانتقام لأنّي لا أستطيع
قضاء عمري في الجري وراء
كلب لأعضّه كما عضّني

مهاتما غاندي

عمر الجمني
«خطاط ومصمم غرافيكي»
jomni.amor@gmail.com

شعري – أبو القاسم الشّابي

عمر الجمني – السيرة الذّاتية

عمر الجمني خطاط ومصمم غرافيكي متحصّل على شهادة الكفاءة المهنية في التصميم والإشهار وعضو اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين، مولود بتونس في 16 جانفي / يناير 1957

ساهم هذا الفنّان منذ العام 1988 في معارض وطنيّة ودوليّة في العديد من المدن العربيّة والعالميّة حيث عرض عربيّا في بغداد والرباط وفاس والكويت والجزائر والشارقة ودبي والمدينة المنورة والطّائف والقاهرة وعالميّا في مدينة لين يي (الصين) وأوزاكا وكوبي (اليابان) و باريس و سترازبورغ وطهران.

إضافة إلى عديد التظاهرات المحلية الفنية الخطية على السّاحة الجامعيّة والثّقافية، أنجز الفنّان عمر الجمني جداريّات 6 جوامع في تونس وكتب خطوط العملة الورقيّة التّونسية والعُملة المعدنيّة بعد الثّورة كما أصدر كتابا فنّيا «لحن الكائنات» لأبي القاسم الشابي.

والفنان عمر الجمني عضو في لجنة التحكيم في مهرجانات الجزائر للخط العربي وعضو شرفي في جمعيات الخطاطين: الأردن...مصر..المغرب..والمركز الثقافي العراقي..

تحصل هذا الفنّان أثناء مسيرته الفنية على العديد من الجوائز أهمّها :

- الجائزة التقديرية للجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي IRCICA في خطّ جلي التعليق في مناسبتين (1987 و1998).
- الجائزة الأولى في مهرجان المغرب العربي الأول للخط العربي والزخرفة الإسلامية المقام في الرباط (1990).
- ميدالية الدورة الثانية لبينالي الشارقة للفنون التشكيلية (1995).
- الجائزة الأولى في أيام الخط العربي تونس عاصمة الثقافة العربية (1997).
- الجائزة الأولى في مهرجان الجزائر الدولي الثاني والثالث للخط العربي المعاصر .
- الجائزة الثانية في ملتقى الدوحة عاصمة الثقافة العربية في مناسبتين (2009 و2010).
- وسام الاستحقاق الثقافي الرابع لإنجاز كتاب فني «لحن الكائنات» أبو القاسم الشابي (2010)
- الجائزة الثالثة والقصبة البرونزية في مسابقة مكّة المكرّمة الدولية للخط العربي (2012).

تتفرؤون

الأولى

الانتقال الديمقراطي في تونس:
تكرار الأخطاء

م.فيصل العتتي

في الصميم

الأزمة ضرورة لبدْءِ فكري ثوري

د. لطفي زكري

إقتصادنا

مقاومة الفقر
«الجزء الأول»

نجم الدين غربال

تقرؤون أيضا

تقرؤون أيضا

التدوينة

من تحزّب .... خان!!!! — البحري العرفاوي — 16

في العمق

مسار العلم بين الحتمية والاحتمال والفوضى — د.أحمد فوزي عبدالسلام — 18

تمتمات

نعم.... ولكن — م. رفيق الشاهد — 26

فلسطين بوصلتنا

صفقة القرن رفاهيةٌ بذلٍ أو سحقٌ بعزٍ — د.مصطفى يوسف اللداوي — 28

كلمات

بماذا تتفاءلون؟ — عبداللطيف علوي — 31

وجهة نظر

حين تكفّ الأرض عن الدّوران — د.أنيس الرزقي — 40

ترنيمات

شهيد فلسطين — سالم المساهلي — 49

قصص القرآن

قصة يوسف (6) يوسف يكشف عن هويته — الهادي بريك — 50

همسة

مأسسة الفشل — د. الخامس غفير — 54

تأملات

المسرح في القرآن: التأصيل والمفهوم — محمد الصالح الضاوي — 56

باختصار شديد

من الصور الخادعة — د. محمد بنصر — 63

المجتمع الصالح

استقرار الأسرة: الشروط والمقومات — د. ابراهيم والعيز — 64

الإنسان والسماء

مستقر الشمس «الجزء الثاني» — د. نبيل غربال — 68

وجهة نظر

القرآن، مرجعية الأمة لاستئناف دورها الحضاري — محمد أمين هبيري — 74

بهدوء

هل القيادة ذكر أم أنثى؟ — د. سعيد السلماني — 78

مدارس إسلامية

خصائص المعرفة الصوفية — د. محمد ديان — 84

حديقة الشعراء

عهد — سهام العكروت بلخير — 92

تحية إلى أستاذ — محمد العشي — 93

بشار ليس من البشر — عبدالله الرحيوي — 94

قبل الوداع

مجتمع مدني فاعل — لطفي الدهواثي — 96

م. فيصل العش
«رئيس تحرير المجلة»
faycalelleuch@gmail.com

الأولى

الانتقال الديمقراطي في تونس: تكرار الأخطاء

تمهيد

في بلد عاش تصحّرا سّياسيّا لعقود عديدة غابت فيها الحرّية وحضر فيها القمع والتسلّط والمهانة، يكون التّحوّل فيها من الدّيكتاتورية إلى الدّيمقراطية صعبا ومحفوفا بالمخاطر، ولعلّ ما حدث في البلاد التونسية خلال سنوات ما بعد الإطاحة ببن علي من مدّ وجزر ومن فشل في تحقيق ما انتفض من أجله النّاس ومن اضطرابات وفوضى في قطاعات شتّى رغم تعدّد الحكومات، يدخل في خانة صعوبات الانتقال الدّيمقراطي وارتدادات الثّورة كما حدث في تجارب سابقة في أماكن متعدّدة من العالم.

صحيح أنّ حالة من التّشنج والتّوتر تسيطر على شرائح واسعة من الشّعب نتيجة غلاء المعيشة وفشل الحكومات المتعاقبة في تقديم علاج لمشاكل البلاد وعلى رأسها الفقر والتّشغيل، وصحيح أنّ القطع مع النّظام البائد يسير بخطى السّلحفاة وربّما توقّف في عدّة مواقع، وأنّ محاسبة رموز الفساد لم تتحقّق بالقدر المطلوب في أغلب القطاعات، بل أن البعض منهم عاد من جديد إلى موقعه السّابق وكأنّ شيء لم يكن، لكن ذلك لا يعني انطفاء شعلة الثّورة والعودة إلى ما كانت عليه البلاد قبل 2011 وإنّما يرجع إلى «طبيعة المرحلة» التي تتميّز عادة بصراع كبير، معلن تارة وخفيّ تارة أخرى، بين قوى التّغيير من جهة وقوى الشدّ إلى الوراء من جهة أخرى وهي معركة ستؤدّي حتما إلى أحد طريقين لا ثالث لهما، إمّا دمار وخراب يعمّ البلاد فلا غالب ولا مغلوب وإمّا مفاوضات ومساومات بين النّخب السّياسيّة القديمة منها والجديدة بما في ذلك بقايا نخبة النّظام القديم تنتهي بتوافقات حول آليّات انتقاليّة تحدّد أسس وشكل النّظام الجديد، وترتبط نسبة نجاح هذا المنحى بمدى التزام تلك القوى بتعهّداتها.

إنّ ما تعيشه السّاحة السّياسية والاجتماعيّة من احتقان شبه متواصل يعود إلى أخطاء عديدة حصلت خلال الفترة الفارطة ووقوعها أمر طبيعي بحكم ما ذكرنا من طبيعة المرحلة، لكنّ الخطر يكمن في عدم تجاوزها والاستمرار في تكرارها، الأمر الذي يزيد في تعقيد الوضع ويفتح الطّريق واسعا أمام من يقف في وجه كلّ تغيير ليحتلّ مزيدا من المواقع التى تساعده على تسديد الطّعنات في خصر التّحول الدّيمقراطي النّاشئ ومن ثمّ وأد الثّورة والنّكوص إلى الدّيكتاتوريّة وما يتبعها من قمع وتخلّف وانحطاط. سنكتفي في هذا المقال بالحديث عن أربع أخطاء يمثّل الاستمرار فيها خطرا صريحا على الانتقال الدّيمقراطي وتحقيق التّنمية.

الوقوع في الأخطـــاء أمر طبيعي بحكم طبيعة المرحلة الانتقاليـــة، لكنّ الخطـــر يكمن في عـــدم تجاوزهـــا والاستمرار في تكرارها

تعطيل بناء المؤسّسات الدّستورية

كانت البدايات جيّدة، فبعد الإطاحة بالدّكتاتورية، أنجز التّونسيون انتخابات تعدّدية ديمقراطيّة شفّافة، انبثق عنها مجلس وطنّي تأسيسي كتب دستورا جديدا وانطلق في تهيئة البلاد للانتقال الديمقراطي عبر بناء بعض المؤسّسات الدّستورية للنّظام الجديد، ثمّ أُنجزت بنجاح انتخابات رئاسيّة وبرلمانيّة نتج عنها أوّل برلمان تعدّدي منذ تأسيس الدّولة الحديثة. لكن بمرور الوقت حصل انحراف في المسار شاركت فيه أغلب الأطراف بدرجات متفاوتة بالرّغم من وجود توافق ما بين أكبر حزبين في البرلمان وهما النّهضة والنّداء.

تجسّد أحد وجوه هذا الانحراف في التّباطؤ الكبير في مسار تركيز معظم الهيئات الدّستوريّة التي أقرّها الدّستور الجديد وذلك نتيجة التجاذبات السياسيّة بين مختلف الأطراف السياسيّة التي تسعى كلها إلى ضمان موقع صلب تلك الهيئات بحيث تكون لها فيها تمثيليّة قويّة حتّى تؤثّر في قراراتها وهو ما يمثّل خطرا على إستقلاليّة تلك الهيئات. ويبرز ذلك جليّا في :

- الصّعوبات التي رافقت إعادة انتخاب الهيئة العليا المستقلّة للانتخابات والهرج والمرج الذي صاحب التّصويت على مشروع قانون الانتخابات البلدية بسبب الخلافات حول مشاركة الأمنيّين والعسكريّين في هذا الاستحقاق الانتخابي من عدمها، ممّا أدّى إلى تأجيلها عن موعدها المحدّد في أكثر من مناسبة.

- التعثّر عدّة مرّات في تركيز المجلس الأعلى للقضاء الذي أقرّه الدّستور في بابه الخامس المتعلّق بالسّلطة القضائيّة (من الفصل 112 الى 117) نتيجة التّجاذبات بين السّلطة السّياسية والقضاة وبين القضاة أنفسهم.

- فشل البرلمان في انتخاب أعضاء المحكمة الدّستوريّة بالرّغم من أنّها من أبرز الهيئات الضّامنة للمسار الدّيمقراطي وأعلى سلطة قضائيّة في البلاد حيث توكل إليها مهمّة مراقبة دستوريّة مشاريع القوانين.

- عدم تركيز الهيئة العليا المستقلة للاتصال السّمعي البصري التي نصّ عليها الفصل 127 وهيئة الحوكمة الرّشيدة ومكافحة الفساد (الفصل 130) بالرّغم من أهمّية هذه الهيئات المضمنة في الباب السّادس من الدّستور ودورها في دعم الأسس الديمقراطية بالبلاد.

ويبقى الجدل الذي صاحب جلسة التّصويت على التّمديد لهيئة الحقيقة والكرامة من عدمه وما نتج عنه من تبادل الاتهامات والعنف اللّفظي بين النوّاب أبرز دليل على التّجاذبات الحادّة التي تميّز مكونات السّلطة التّشريعيّة النّاشئة وهشاشة التّوافق بين كتلها السّياسية.

إنّ التجاذبات التي تحصل بين الفينة والأخرى تحت قبّة البرلمان وعلى منابر الحوار الإعلاميّة ليست في ذاتها خطرا على المسار الدّيمقراطي وإنّما تحوّلها إلى خبز يومي وسياسة ممنهجة تتبعها بعض الأطراف لتأزيم الوضع من أجل أهداف فئويّة ضيّقة، فذلك هو الخطر بعينه.

الدّعوات المتكرّرة لتغيير الحكومات

من الأخطاء التي تكرّرت خلال السّنوات الماضية الدّعوات المتسرّعة لتغيير الحكومات بتعلّة فشلها. فقد بلغ عدد الحكومات في فترة ما بعد الثّورة تسع حكومات بالتّمام والكمال أي بمعدّل حكومة لأقلّ من سنة، ولم تعد الحكومات تتحكم في مصيرها، فقد يتسبب تصريح إعلاميّ أو حدث أمنيّ أو غضب من جهة ما في إسقاط حكومة وتركيز حكومة جديدة أو تحوير في إحداها. وهذا أمر خطير له انعكاسات سلبيّة هامّة على عمل السّلطة التّنفيذيّة وعلى محاولتها معالجة التّحديات الاقتصاديّة والاجتماعيّة لما ينتجه من عدم استقرار في تسيير دواليب الدّولة وتنفيذ مخطّطاتها وبالتّالي تراجع المؤشّرات الاقتصاديّة مثل ما تؤكّده الإحصائيّات.

لقد أثبتت تجارب استقالات الحكومات السّابقة أو تغييرها عدم جدواها خاصّة على المستوى الاقتصادي، ولهذا فإنّ من العبث أن تتمّ الدّعوة إلى حكومة جديدة بحجّة أنّها فشلت في تحقيق النّمو المرجو. فالرّكود الاقتصادي والارتباك في عمل الحكومة ليس ناتجا عن طبيعتها بقدر ما هو ناتج عن عدم التضامن معها ومساعدتها في عملها، بالإضافة إلى سعي بعض الأطراف إلى تأزيم الوضع والتّهديد المستمر بالإقالة.

إنّ تركة نظام بن علي الاقتصاديّة التي ورثتها الحكومات المتعاقبة بعد الثّورة ثقيلة، فنسب النّمو المعلنة وقع تضخيمها، ونسبة الفقر شملت ربع سكّان البلاد خاصّة بالمناطق الدّاخليّة. ساهمت هذه التّركة بالإضافة إلى التّوقف المستمرّ في السّير الطّبيعي لبعض القطاعات الاقتصاديّة الهامّة كإنتاج الفسفاط في تعثّر عمل الحكومات المتعاقبة، ممّا أدّى إلى ارتفاع مستوى الدّين الخارجي وضعف المؤشّرات الاقتصاديّة، فكانت النتيجة تخفيض مستمر في التّصنيف الائتماني السّيادي لتونس إلى درجة تنبّئ بالخطر.

إنّ الانزلاق الخطير الذي وقع فيه الاقتصاد التّونسي خلال فترة «بن علي» يتطلّب تصحيحا لمساره وذلك بوضع رؤية اقتصاديّة جديدة. ولكن هل تستطيع أيّة حكومة لا يتجاوز عمرها عدّة أشهر أن تنجز ذلك؟

صحيح أنّ الحكومة الحاليّة لم تنجح في توسيع رقعة مقاومتها للفساد وفي الحدّ من عنتريّة الاقتصاد الموازي ولم تجد الحلّ الأنسب لتحسين ظروف العيش والخدمات الأساسيّة وتوفير فرص العمل في جلّ المناطق. لكنّ منع الاقتصاد من الانهيار والحفاظ على حدّ معقول من احتياطات العملة الصّعبة وعدم الاستسلام أمام غول التّضخم هي منجزات يمكن الرّكم عليها لمنع الانهيار التّام. أمّا تعنّت البعض وجعلهم إسقاط الحكومة هدفا ومبتغًى، فذلك تكرار لنفس الخطإ وإيذان بنهاية مسار الانتقال الديمقراطي ووأد للسّلم الاجتماعي.

أثبتت تجارب استقالات الحكومات السابقة أو تغييرها عدم جدواها خاصّة على المستوى الاقتصادي، ولهذا فأنّ من العبث أن تتمّ الدّعوة إلى حكومة جديدة بحجّة أنّها فشلت في تحقيق النّمو المرجو.

أزمة الحكومة ورجال التعليم

يُعدّ إصلاح المنظومة التّربويّة الرّكيزة الأساسيّة للتّغيير الاجتماعي والاقتصادي الذي نسعى إليه وهو إحدى الأولويّات التي يجب الانكباب عليها من طرف كلّ القوى الحيّة في البلاد. فصلاح حال هذا الشّعب وتحقيق التنمية الشّاملة لا يمكن انجازهما إلاّ بإطلاق ثورة حقيقيّة في البرامج والمناهج التعليميّة تقطع مع الماضي وتجاربه العبثيّة المسقطة وتؤسّس لمنظومة جديدة، متأصّلة في خصوصيّتنا الثّقافيّة ومتشبّعة بقيمنا الإسلاميّة والعربيّة ومتفاعلة إيجابيّا مع القيم الإنسانيّة. منظومة لتربية عصريّة تواكب التحوّلات التقنيّة، ملائمة لأولوياتنا الاقتصادية، تُعدّ النّاشئة لحياة المواطنة والمشاركة الدّيمقراطية وتدعّم قيم الحرّية والعدالة والتّسامح وتنمّي شخصيّة المتعلّم من جوانبها المتعدّدة. منظومة تهدف إلى خلق جيل متوازن ثقافيّا وفكريّا وعلميّا قادر على بناء بلده وافتكاك مكانه في سوق الشّغل وطنيّا وعالميّا. لكنّ ما حصل ويحصل هذه الأيّام هو انحراف الفاعلين في المجال التّربوي من نقابات وسلطة إشراف عن الدّور المناط بعهدتهم وتكريس كلّ الجهود لتغذية الصّراع بينهم، صراع يجسّد عمق الأزمة التي يعيشها التّعليم في تونس ويغذّي عناصر منع تأسيس المنظومة التّربويّة المرجوّة ووأد كلّ أمل في الإصلاح.

إنّ ما حدث منذ الثّورة ويحدث باستمرار من أزمات بين سلطة الإشراف ونقابات رجال التّعليم بجميع مستوياته لا يصبّ في مصلحة البلاد ويعصف بمستقبل جيل كامل من التّلاميذ ويخلق انحرافا شديدا عن المسار الذي كان لابدّ من اتباعه في المرحلة الانتقاليّة حيث التّوافق بين الجميع من أجل إصلاح التّعليم وإرساء منظومة تعليميّة جديدة تقطع مع منظومة بن علي الفاسدة.

إنّه خطأ نتائجه جدّ سلبيّة على الجميع وتكراره في هذه الفترة أكثر خطورة من ذي قبل، فالبلاد لا تتحمّل أكثر ممّا تحمّلت، والأخطر من ذلك أن يتمّ استغلال السّاحة التّربوية لتصفية حسابات سياسيّة أو للحسم في الخلاف حول حجم الاتحاد التّونسي للشّغل ودوره في هذه المرحلة إذ يرى البعض أنّ تصريحات الأمين العام للمنظمة الشّغيلة والكاتب العام لنقابة التّعليم الثّانوي قد أخذت منحى سياسيّا أكثر منه نقابيّا، فقد أصبحت لديهم مطالب سياسيّة مباشرة تتمثّل في طلب تغيير وزراء في الحكومة مع اعتبار الحكومة الحالية حكومة تصريف أعمال لا غير. وهو ما جعل الاتحاد حسب بعض المحلّلين في صراع مباشر مع الحكومة. والسّلاح في المعركة حقوق التّلاميذ ومصالحهم وهنا يكمن الخطر.

إنّ الصدام بين الحكومة ومن يدعّمها والإتحاد العام التّونسي للشّغل لن يكون بالأمر الهيّن بل سيكون، لو حصل لا قدّر الله، نقطة بداية النّهاية لثورة هزّت أركان العالم ونارًا ستأتي على الأخضر واليابس ومنعرجًا خطيرًا قد تنزلق في نهايته المركبة ويومئذ سيفرح الشّامتون المتربّصون.

الخطورة في أزمة رجال التعليم مع سلطة الإشراف استغلال الساحة التربوية لتصفية حسابات سياسية عبر معركة سلاحها حقوق التلاميذ ومصالحهم.

تغييب الإحاطة بـ«الشّخصيّة التّونسيّة»

من أهمّ الأخطاء التي سقط فيها الماسكون بزمام الأمور في البلاد منذ نجاح ثورة الشّباب، عدم فهمهم لطبيعة «الإنسان التّونسي» ومطالبه في مرحلة ما بعد الثّورة، فقد انحصر اهتمامهم في برامجهم (إن كانت لهم برامج) على المسألة السّياسية في المقام الأوّل وذلك بالعمل على إنجاز الانتخابات وكتابة دستور جديد وبناء المؤسّسات الدّستوريّة مع البحث عن مسكّنات للأزمة الاقتصاديّة ظنّا منهم أنّه بجلب بعض الاستثمارات وتحقيق ارتفاع في مؤشّرات التّشغيل يستطيعون السّير بالبلاد إلى شطّ الأمان، متناسين أو متجاهلين أنّ الأولويّة تكمن في الإحاطة بـ«الشّخصيّة التّونسيّة» فهما وتفاعلا وعلاجا.

تناسى هؤلاء أنّ الشّعب بمختلف أطيافه، الذي وجد نفسه بين عشيّة وضحاها ينعم بالحريّة بلا قيد ولا حاجز، قد عاش ربع قرن من الاستبداد والقمع والذّل وأنّ الشّباب تربّى على ثقافة بلا هويّة وأنّ النّخب قد انقسمت بين موالاة تسوّق للطّاغية وتبرّر عنفه واستبداده، ومعارضة مطاردة لا يحقّ لبعضها التّواجد ولا يسمح لبعضها الآخر بالنّشاط أوالاختلاط بالنّاس.

تناسى هؤلاء أنّهم أمام كتلة بشريّة مشحونة تريد أن تفرّغ ما بداخلها من طاقة سلبيّة تراكمت عبر السّنين، فعبّرت عنها بحركة مطلبيّة قلّ وجودها في صفوف الطّبقة الشّغيلة وجموع الموظّفين والإطارات من جميع الاختصاصات تقودها أكبر منظمة شغيلة في البلاد من أجل الرّفع في الأجور والحصول على امتيازات حُرِمَ منها الجميع طيلة عشريتين كاملتين. كما عبّر عنها آخرون بممارسة العنف والحطّ من هيبة الدّولة ومؤسّساتها ليكتشف، الجميع، أنّ البلاد بدأت في جني ثمار ما فعله بن علي في الشّعب ونخبه وأنّها أصبحت تعيش مرحلة تفريغ للكبت والقمع والحرمان. لقد غدت أغلب النّخب فاقدة تماماً لمعاني الحوار والاختلاف وقبول الآخر وصار جلّ الشّباب (المسيّس وغير المسيّس) متمرّدا لا يريد قبول أي نوع من القيود، فانتشرت ظواهر التّشاجر و«البلطجة» وعشق مخالفة القوانين والحنين إلى المواجهات.

كان على النّخب الماسكة بدواليب الأمور سواء في الحكم أو في المعارضة العمل على التحكّم في عمليّة التّفريغ هذه لتحويل طبيعتها إلى طاقة إيجابيّة، لكنّها لم تفعل بل انخرطت في الاستفادة من تلك الكتل البشريّة المشحونة لتحقيق مآربها الحزبيّة الضيّقة واستغلالها في تصفية حسابات قديمة لا طائل من ورائها سوى تعكير الجوّ العام وتعطيل المسار الانتقالي الهشّ.

خطأ، إن أردنا تجاوزه ومحو آثاره،علينا أن لا نتراجع في نشر الحرّية وثقافة الاختلاف وفنّ الحوار المتحضّر بين مختلف مكوّنات المجتمع التّونسي وخاصّة الشّباب منهم، فهم الأكثر نشاطاً وتأثيراً، كما أنهم

لأننا شعب لا يفقد الأمل وإن غاب، فانّ المجال مازال مفتوحا لتعديل المسار والتفكير جيّدا في مصلحة البلاد العليا بعيدا عن التجاذبات التي هي كالملح في الطعام لكنّ كثرتها تضرّ بالبلاد.

الأكثر قابليّة واستعداد للتّعلم من غيرهم. وعلى النّخب بتنوّع مشاربها الفكريّة أن تتنازل في داخلها عن شرعيّتها النّضالية والانتخابيّة والعلميّة وتضع نفسها في خدمة الجماهير. عليها أن تغيّر طريقة حوارها مع النّاس في الشّكل أوّلا والمضمون ثانيا، فلا مجال للجلوس مثلا على منصّة مرتفعة للخطابة في النّاس ولا نتائج ترجى من عمليّات التّلقين. إنّ الشّباب في حاجة إلى من ينزل إلى ميادينهم، يجلس معهم ويصبر على أذاهم ويتحدّث لغتهم لكن بمضمون إيجابي ومتفائل، يبني ولا يهدم.

على الجميع، إن أرادوا وضع حدّ لهذا الخطأ، أن يجعلوا من الإحاطة بـ «الشخصية التونسية» ومعالجتها أساس مشروعهم الوطني وأن يعملوا على تحقيقها من خلال أربعة محاور متلازمة : «نشر ثقافة الحوار والتّسامح والتّعاون والنّهوض بالتّربية والتّعليم لبلوغ مستوى عالٍ ورفيع والالتزام بالدّيمقراطية منهجا وسلوكا وإستخدام التّكنولوجيات الحديثة فى العمل والإنتاج» ولنا في تجربة الشّعبين«الفنلندي» و«الماليزي» خير مثال، فقد استطاعا أن يحوّلا بلديهما من دولتين فقيرتين جداً إلى دولتين غنيّتين ومتقدّمتين في زمن وجيز. فهل يستطيع التّونسيّون أن يحوّلوا اتجاه سفينتهم نحو هذا الهدف المنشود لترسو بميناء التّقدم والرّقي أم سيواصلون في نفس المسار والله وحده يعلم مآل سفينتهم ومرساها؟

الخاتمة

بعد سبع سنين من الأمل الممزوج بخوف عن مصير ثورته، أصبح الشّعب التّونسي أو لنقل الجزء الأكبر منه يتساءل عن مستقبل انجازه الذي وقفت له الأمم الأخرى إجلالا وتعظيما. وغدا البعض يشكّك في مصير هذا الإنجاز ويرى أنّ تضحيات الفقراء والمستضعفين في تونس قد ذهبت سدى وأن تحقيق التّنمية أصبح حلما صعب المنال وتعالت أصوات من كهوف الزّمن الغابر تتباكى عهدي بورقيبة وبن علي وتروّج إلى بضاعة قديمة في ثوب جديد.

ولأنّنا شعب لا يفقد الأمل وإن غاب، فإنّ المجال مازال مفتوحا لتعديل المسار والتّفكير جيّدا في مصلحة البلاد العليا بعيدا عن التّجاذبات التي هي كالملح في الطّعام لكنّ كثرتها تضرّ بالبلاد وتعطّل قطار الإصلاح.

لقد خرجت البلاد من الاستبداد لكنها لم تدخل عالم الديمقراطية بعد فلابدّ من المرور بمرحلة انتقاليّة قد تقصر أو تطول حسب جهد وذكاء الفاعلين ولا يمكن لهذه المرحلة أن تمرّ بسلام مادام الصّراع يتصدّر الحراك بدل التّنافس، فقليلا من العقل أيّها السّياسيون والنّقابيون ... وانظروا إلى أمامكم ولا تنظروا تحت أقدامكم واعتمدوا على عقولكم ولا تعتمدوا على عواطفكم وفكّروا في المواطن المسكين والشّهيد وأمّ الشهيد والجريح الذي لم يشف من جرحه بعد ولا تفكّروا في مصالحكم الحزبيّة والايديولويجيّة الضّيقة...

تذكّروا العناصر العسكريّة والأمنيّة التي استشهدت وهي تدافع عن سلامة التّراب الوطني وتصدّ جماعات إرهابيّة مسلّحة لا تتحرّك إلاّ عند الأزمات وتعرف كيف تستغلّ لحظات الاحتقان والفوضى. فالتّاريخ لا يرحم وسيذكركم بالاسم ويذكر أنّكم أضعتم فرصة على هذا الشّعب في تأسيس دولته الدّيمقراطية ليعيش فيها بأمان وسلام ويحقّق التّنمية التي حلم بها طيلة عشريّات من القحط والظّلم والاستبداد.... استفيقوا يرحكم الله...

البحري العرفاوي
«شاعر وأديب تونسي»
bahri.arfaoui@yahoo.fr

في ذكرى يوم الأرض
الإسلاميون والقضية الفلسطينية

«يوم الأرض» هو يوم يحييه الفلسطينيّون في 30 من مارس منذ العام 1976 بعد أن قامت سلطات الكيان الصّهيوني بمصادرة مساحات من الأرض هي على ملك الفلسطينيين.

«يوم الأرض» هو يوم شبه مقدّس عند شعوبنا العربيّة والإسلاميّة يُحيونه كلّ سنة تذكيرا بأنّ للأمّة أرضا مغتصبة إذا عجزوا عن استردادها فعليهم ألاّ يعجزوا عن تذكّرها وتذكير الأجيال بها وهي ذكرى حاضرة عند التّونسيين بقوّة، لا يتخلفون عن إحيائها وخاصّة طلبة الجامعات والحركات ذات المرجعيّات العروبيّة والإسلاميّة.

حين اندلع «الرّبيع العربي» ذات شتاء تونسيّ ومصريّ وليبيّ في العام 2011 وسقطت رؤوس ثلاثة بسرعة فائقة وانطلقت الجماهير تلهج بشعارات الثّورة وانطلق السّياسيّون يلهجون بالدّيمقراطية، كان لديّ سؤال: من نظّر للثّورة ومن قادها؟ وما هي مشاريعه المستقبليّة؟ لا أحد من زعماء الأحزاب يزعم لنفسه قيادة للثّورة بل كلّ يؤكّد أنّها ثورة الشّباب.

في مركز الجزيرة للدّراسات الإستراتيجيّة بالدّوحة سألت السّيد رفيق عبد السلام في ماي 2011 وكان مديرا للمركز عند زيارتي له: «ألا ترون أنّ مؤامرة تُحاك ضدّ الحركات الإسلاميّة بتوريطهم في الحكم وإفراغ أوروبا والغرب من قياداتهم ومثقّفيهم حيث أصبحوا يمثّلون عبئا عليه ـ سياسيّا وأخلاقيّا ـ وخاصّة في دعم القضيّة الفلسطينيّة وفي قيادة جزء من الرّأي العام من الجالية وحتّى من المواطنين الأصليّين الذين يرفضون الاحتلال والظّلم ويتعاطفون مع الشّعب الفلسطيني؟». لاحظت أنّ السّؤال فاجأه فقلت له: «اشتغلوا على هذه الفرضية».

اليوم تأكّدت من صدقيّة حدسي وأزداد كلّ يوم اقتناعا بأنّ الإسلاميّين أُريد لهم الغرق في الفوضى وفي الفشل وفي الصّداع الأليم حتّى يخرجوا من دائرة الصّراع العربي الصّهيوني وحتّى يظلّوا منشغلين بأزماتهم وبما يتهدّدهم من الفشل ومن الانقلابات، بحيث لن يكون لهم متّسع من الجهد أو الوقت لتعبئة الرّأي العام نصرة لقضيّة فلسطين وللمسجد الأقصى وللقدس الشّريف.

كانت الشّعارات المعبّأة بالانتصار لفلسطين حاضرة في أغلب أنشطة الإسلاميّين قبل وبعد الانتخابات

«الربيع العربي» تحوّل بفعل وصول الإسلاميّين إلى السّلطة إلى خريف عاصف بوجه القضيّة الفلسطينيّة حيث غاب خطاب « المقاومة» في الخطاب السّياسي للإسلاميّين بعد وصولهم إلى الحكم تقديرا لدقّة المرحلة وصعوبتها

الأولى بل وتمّت دعوات لرموز حركة «حماس» في أكثر من مناسبة وقد سافر وفد حكومي جلّه من الإسلاميّين إلى غزّة مساندة لأهلها إثر غارة صهيونيّة غادرة.

الحركات الإسلاميّة التي تسلّمت مقاليد الحكم سواء منفردة أو ضمن تحالفات، أصبحت تجد نفسها في وضعيّة عمليّة مختلفة عمّا هو نظري وشعاراتي... إنّها تواجه ضغطا شعبيّا ومطالب اجتماعيّة مشروعة وتواجه أيضا ضغطا سياسيّا وأحيانا مطالب تعجيزيّة ولا تستطيع الاستجابة لا لمطالب الدّاخل ولا لتسديد الدّيون الخارجيّة، بل وتجد نفسها مضطرّة للاستدانة من جديد من جهات غربيّة هي على علاقة وطيدة بالكيان الصّهيوني ـ ومن يُطعمك يُلجمك ومن يملك قوّتك يملك أن يقودك ـ.. ولعلّها تكون مكرهة على إبداء مرونة واضحة في الملف الفلسطيني وثمّة أكثر من شاهد على ذلك سواء في مصر أو في تونس أو في ليبيا ونحن نرى ما تتعرّض إليه الحكومة في تونس من ضغط لتجريم التّطبيع في الدّستور ولكنّها لا تستطيع أن تعلن الرّفض صراحة ولا تستطيع أن تفعل بوضوح تحت إكراه السّياسة والاقتصاد.

«الربيع العربي» تحوّل بفعل وصول الإسلاميّين إلى السّلطة إلى خريف عاصف بوجه القضيّة الفلسطينيّة حيث غاب خطاب « المقاومة» في الخطاب السّياسي للإسلاميّين بعد وصولهم إلى الحكم تقديرا لدقّة المرحلة وصعوبتها، بل وصعدت إلى السّطح مبادرات «السّلام» واستعاد الرّئيس الفلسطيني «محمود عباس» دوره النّشط في التّفاوض بوساطة الخارجيّة الأمريكيّة وكادت تتوقّف العلاقة بين «حماس» وحلف المقاومة المعروف.

يبدو أنّ التحوّلات الكبرى التي تشهدها المنطقة هذه الأيام ستفرض على الجميع من أنصار الأرض الفلسطينيّة التّفكير في الطّرائق المجدية للتّعامل مع المحتل بعيدا عن أساليب التّسويات المائلة.

اعتراف الرّئيس الأمريكي «ترامب» بالقدس عاصمة للكيان الصّهيوني مثّل الصّدمة الأخيرة للوجدان العربي المسلم وأجّجت انتفاضة جديدة في الأراضي المحتلّة وخاصّة غزّة الصّامدة وأعادت حركات المقاومة إلى خطاب الوحدة والتّكامل في مواجهة الكيان الغاصب وقرار «ترامب» الاستفزازي والمهين.

العرب لم يبق منهم إلاّ القليل بعد خروج مصر وإذلال السّعودية وتخريب ليبيا وسوريا والعراق واليمن .

أ.د.فوزي أحمد عبد السلام
«أستاذ ديناميكا الفضاء بجامعة القاهرة»
f.a.abdelsalam@gmail.com

في العمق

مسار العلم بين الحتميّة والاحتمال والفوضى

محدودية الحواس

تعمل حواس الإنسان في نطاق ضيق جدا من هذا العالم الفسيح، فلا يستطيع إنسان أن يفرق مثلا بين أي كتلة وأخرى بدءا من 1000 كيلو جرام فأكثر أو عشر جرام فأقل معتمدا على حواسه فقط والأمر أيضا قريب من ذلك في المسافات، فلا يستطيع أن يفرّق بين 10 كيلومترات فأكثر أو عُشر الملّيمتر فأقل، وإحساسه بالزّمن لا يبعد عن ذلك أيضا، فلا يستطيع إدراك الفوارق الزّمنية حين يتعدّى حاجز المائة يوم تقريبا وحين تصغر عن كسر بسيط من الثّانية. وبالتّالي فهامش العالم الذي تقيسه الحواس بدون مساعدة من أيّ شئ آخر يمثّل نافذة ضئيلة جدّا من الكون تكاد تكون منعدمة وبلغة الرّياضيات فإنّ ما ندركه من الكون بحواسنا المجرّدة يقترب كثيرا من الصّفر، وإذا دعّمنا الحواس بأجهزة فيزيائيّة للقياس فإنّ هذه النّافذة تمتدّ ولكن قليلا أيضا بالمقارنة بما لا تستطيع الأجهزة قياسه، فيكون ما تقيسه الأجهزة يتراوح من 10 أس سالب 50 إلى 10 أس سالب 60. وحين دخول العالم الذّري فما دونه أو ما يسمّونه «العالم الميكروي» أو دخول العالم الكبير «العالم الماكروي» فليس لك عين ولا جهاز إلاّ النّماذج الرّياضيّة التي تصوغ تصوّراتك للطّبيعة وإخضاعها للقياس الكمّي الدّقيق هو الحكم الزّمني على صدق هذه التّصورات من عدمه ومع ذلك أيضا فهو ليس حكما نهائيّا باتّا، والمشكلة تكمن في أنّ كلّ التّصورات التي تصاغ في نماذج تفسيريّة رياضيّة للطّبيعة هي بطبيعة الحال محلّية جدّا وعليها قيود كثيرة جدّا. ومن ذلك يعلم أنّ العلم الطّبيعي مع تطوّره وتعقّده، قد يقترب من فهم طبيعة الوجود لكنّه لن يتمكّن أبدا من فهم جوهر الوجود الإنساني فالإنسان ليس مادّة وحسب بل إنّ المادة هي أقلّ شيء فيه، ونحن نواريها التّراب بمجرد خروج السّر الإلهي منها. فلا يوجد سبيل أمام العلم الطّبيعي للإجابة عن الأسئلة الكلّية مثل جوهر وجودنا، فالعلم يبحث في كلّ ما هو غيب نسبيّ أمّا الغيب المطلق فهيهات.

الحتمية السببية

نجد داخل نطاق الحواس أن كل نتيجة متّصلة بسببها (أو بالأحرى فيما علم من أسبابها) في تناسق وتناغم وترتيب أكثر من بديع، وفي أصول الفقه يدور الحكم مع علّته (سببه) وجوداً وعدماً. فقد وجدنا مثلا أنّه من المستحيل أن تسلك في الطّبيعة أكثر من مسار واحد في آنٍ واحد، وهو ما يؤيّده المنطق بشكل صريح، فأنت

قد يقترب العلم الطّبيعي مع تطوّره وتعقّده، من فهم طبيعة الوجود لكنّه لن يتمكّن أبدا من فهم جوهر الوجود الإنساني فالإنسان ليس مادّة وحسب بل إنّ المادة هي أقلّ شيء فيه.

إمّا هنا وإمّا هناك، أمّا أن تكون هنا وهناك في آن واحد فهو ما يرفضه المنطق. ويبدو بشكل صريح أنّ مبدأ السّببية هذا هو أحد مبادئ العقل المجرّد التي لا تحتاج إلى مقدّمات أو دليل أو معرفة سابقة في تصديقها، وهي علاقة (سواء كشفت أم لم تكشف بعد) بين السّبب والمسبَّب (النتيجة)[1]، بينما لا يوجد على المستوى الدّقيق الكمومي أي تمييز بين السّبب والمسبّب. ثمّة حوادث كثيرة جدّا تكسّر السّببية في المستوى الكمومي (لكن في الحقيقة هذا الكسر ناتج بالفعل عن عدم نضوج لميكانيكا الكمّ بالشّكل الكافي). ونرى أنّ مبدأ السّببية هذا قد وفّر الإطار العقليّ الرّاسخ لتأسيس الرّياضيات كلغة للطّبيعة.

تبدأ القصّة الكبرى للتّصور الإنساني للطبيعة عند فلاسفة اليونان من أنّها مكوّنة من عناصر أساسيّة أربعة هي: الأرض والماء والهواء والنّار. ومع عدم دقّة هذا التّصوّر إلّا أنّها وافقت التّصنيف الحديث لحالات المادّة الأربع، وهي الحالة الصّلبة «الأرض»، والحالة السّائلة «الماء»، والحالة الغازيّة «الهواء»، وحالة البلازما «النّار». ساد هذا التّصور إلى نهاية العصور المظلمة تقريبا حتّى أسّس «جاليليو» منهجيّة البحث العلمي وأستأنف «نيوتن» الطّريق، ومع تأسيس حساب التّفاضل والتّكامل واكتشاف قانون الجذب العام وربطه مع معادلات الحركة أسّس «نيوتن» منهجا للحتميّة الميكانيكيّة للطّبيعة، لكن ينبغي أن يعلم أنّ البشريّة أخذت أكثر من مليون عام (هو عمرها) حتّى وصلت إلى تصوّر أنّ دفع الأجسام يتناسب مع التّغيّر في سرعتها وهو أمر غير بديهي وليس مع سرعتها وهو الأمر البديهي. كانت هذه المعادلات بمثابة الماكينة التي يدخل فيها بعض المعلومات مثل الكتلة والقوّة وبعض الشّروط الابتدائيّة على الموضع والسّرعة، فتسمح لنا بالتنبؤ بمسار بل وبموضع الجسم عند أيّ لحظة زمنيّة لاحقة، فقد كان الزّمن عند «نيوتن» مطلقا لا يعتمد على شيء «فيما يسمي بلغة الرّياضيات متغيّر مستقل» بينما أتى بعد ذلك أنصار ميكانيكا الكمّ ليعرّفوا الزّمن الكلاسيكي على أنّه نتيجة إحصائيّة فقط لنسق ترتيب الأحداث في المستوى الماكروسكوبي. وبنهاية القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين ظنّ الفيزيائيّون أنّ الفيزياء كعلم قد أغلق «The physics as a science has been closed» ولم يعد هناك مبحث إلاّ تهذيب وتدقيق النّتائج، ولم يمر على هذا الكلام سوى سنوات قليلة حتى أُعلن عن تصورين جديدين للطّبيعة وهما النّسبية الخاصّة والعامّة لأينشتين وميكانيكا الكم لبلانك، بالإضافة إلى بداية ظهور حساسيّة الأنظمة للشّروط الابتدائيّة وهو ماسمّي بعد ذلك بعلم الفوضى (وسنفرد لذلك جزءا من المقال) وأعلن الفيزيائيّون على إثرهما أنّ الفيزياء كعلم لا بدّ من إعادة صياغته «The physics as a

science should be reformulated» على أساس من نقد الحتميّة وبداية صياغة النّموذج الاحتمالي الذي أتحفتنا به ميكانيكا الكمّ، في حين ظلّت النّظرية النّسبية على منهج الحتميّة بخلاف أنّ الزّمن أصبح متغيّرا من مكان لآخر في الكون بل ومعتمدا على الحركة بل وغير متميّز عن المكان بل يختلط الزّمان والمكان في نسيج واحد. ومع اختلاف الحالات الأربع للمادّة إلا أنّها تنطوي على بنية واحدة وما يفرق بينها هو القرب بين هذه المكونات الأساسية «الذّرات» وطبيعة الرّوابط بينها، فليست إلاّ تمثيلات مختلفة لنفس الشّيء ذاته، وتساءل الفيزيائيّون هل الجسيمات المختلفة التي تكوّن الذّرات هي أيضًا تمثيل لجسيمات أوّلية يتكوّن منها الوجود المادّي؟ وبالفعل توصّلوا عن طريق التّجربة إلى أنّ المادّة ما هي إلاّ جسيمات أوّلية تسمّى «الكواركات» و«الليبتونات»، والتي تشكّل إلى هذه اللّحظة من معرفتنا اللّبنة الأساسيّة لهذا الوجود! وتتفاعل تلك الجسيمات الأوّلية فيما بينها عن طريق أربع قوى أساسيّة هي الجاذبيّة والكهرومغناطيسيّة والقوى النّووية القويّة والقوى النّووية الضّعيفة. فهل تتصرّف أحفاد الأحفاد «الكواركات» و«الليبتونات» مثل جدود الأجداد السيارات ومياه الأنهار وحركات الرّياح وحتّى الأقمار والكواكب.

شيطان لابلاس

ظلّت الحتميّة السّببية تسيطر على العلماء الأوروبيّين بدءًا من عصر النّهضة في عام 1453م وحتّى نهاية القرن التّاسع عشر، وتجلّت هذه السّيطرة في فكرة طرحها الفلكي الرّياضي الفرنسي «بيير سيمون لابلاس» عام 1814م، بافتراض وجود كائن خيالي عاقل في مقدوره معرفة ماضي الكون ومستقبله، بناء على معرفة وضع وسرعة كلّ جزئية فيه. وبتعبير آخر يرى «لابلاس» أنّ الحالة الرّاهنة للكون هي نتاج للحالة الماضية وسببا للحالة القادمة، وإذا وجدت قوّة تستطيع معرفة جميع القوى التي تحرّك الطّبيعة في لحظة معينة وجميع مواضع الأشياء التي تتألّف منها الطّبيعة وقدرة هذه القوّة على تحليل البيانات، فبالنّسبة لهذه القوّة لن يكون هناك شيء غير مؤكّد وسيكون المستقبل تماما مثل الماضي ماثلا أمامها [2]. الخطر في هذا التّصور هو جمود العقل على حتميّة الوصول إلى هذه الحالة، بحيث لا يكون ثمّة مجهول في هذا العالم بالنّسبة للإنسان فهذا خطر على العقل الإنساني «فإذا وجد الإنسان فثمّة مجهول ما بالنّسبة له»، أمّا إذا وضع هذا التّصور كحالة نهائيّة (خارج حدود الإنسان كإنسان لكن ربّما تكون على أطراف وجوده)، يسعى الإنسان للوصول إليها بتعديل التّصورات يوما بعد يوم، فهذا ممّا لاغبار عليه بل ينبغي أن يُعلم أنّ الحتمية نفسها ليست ناتجة إلاّ من سلسلة كبيرة جدّا من التّقريبات للواقع.

ظهور علم الفوضى

في ظلّ الحتميّة اعتقد الإنسان أنّ كلّ شيء في الكون يتحرّك وفق نظام دقيق ومحدّد وهذا من باب الاعتقاد

يرى «لابلاس» أنّ الحالة الرّاهنة للكون هي نتاج للحالة الماضية وسببا للحالة القادمة.

العلمي صحيح، لكن هل من سبيل لمعرفة هذا النّظام الدّقيق والمحدّد في كلّ شيء؟، ألا تحدث ثورات غير مرتقبة في هذه النّظم؟، هل هذه الثّورات فوضى كما يعتقد البعض؟، في الواقع هذه الفوضى ما هي إلا مسارات غير خطّية تتكرّر وتتداخل بنسق معيّن غير متماثل تماما، ولكنّه منظم جدّا. أحيانا يبدو وكأنّ هناك نقطة جذب محدّدة تنطلق منها وتعود إليها. إذا ألا يمكن سنّ قوانين تحكم هذه الفوضى وتطوّرها؟. إن أمكن ذلك فمازلنا قريبين من معنى الحتميّة. وبالفعل تمّ صياغة نماذج تحكم أيّ شيء في الكون عند ثورته وتتنبّأ بمستقبله أثناء ثورته، تتجلّى إحدى نجاحاتها في تحديد طيف الكتل الذّريّة الخارجة من التّفاعلات النّووية.

ظهرت الفوضى كعلم في عام 1886 م عندما أعلن ملك السّويد والنّرويج «أوسكار الثّاني» عن مسابقة علمية كان منظّمها الرّياضي «جوستا متاج ليفلر» والمحكّمون بعض عباقرة هذا العصر ومنهم «فيرشتراس، كيلي، تشيبتشيف، هيرميت» ورصدت جائزة مالية ضخمة لمن يقدّم حلاّ لمسألة الأجسام الثّلاثة، أي لمن يجيب عن التّساؤل الآتي هل النّظام الشّمسي مستقرّ أم لا؟ هل ستظلّ الكواكب وخصوصا الأرض في الدّوران حول الشّمس أم سيأتي يوم (ومتى هو؟) تخرج فيه الأرض عن مدارها. وقد فاز «هنري بوانكاريه» بالجائزة بعد أن إكتشف حساسيّة النّظام الشّمسي للشّروط الابتدائيّة، فكل تغير بسيط في الشّروط الابتدائيّة يؤدي إلى نتائج غير متوقّعة بل وربّما كارثيّة على مستقبل النّظام فيما عرف بعد ذلك بتأثير الفراشة والذي وضعه عالم المناخ «إدوارد لورينتز» من MIT في عبارته المشهورة «من الممكن أن تسبّب رفرفة فراشة بجناحيها وهي في الصّين إعصارًا بأمريكا».

الاحتمال آداة الحساب في العالم الميكروسكوبي

تضيع المعاني المستنبطة من الحسّ العامّ عند دخول نفق الجسيمات الذّرية فما دونها، يسلك أحفاد الأحفاد سلوكا مختلفا تماما عن سلوك جدود الأجداد بل ومحيّرا جدّا لهم. فإذا ما حاولت معرفة مكان وكمّية تحرّك إليكترون بدقّة متناهية لن يكون لك ذلك أبدا إلاّ بمقايضة، فالدّقة المطلوبة في أحدهما سيكون على حساب الأخرى فيما عرف بعد ذلك بمبدأ عدم اليقين لفيرنر هيزنبرج، وهكذا في أزواج المتغيّرات المترافقة مثل الطّاقة والزمن. وحاول «نيلز بور» تفسير ذلك بأنّ الجسيمات تحت الذّرية لا تتحرّك بشكل سببيّ حتميّ [3]، وإنّما بشكل احتمالي، لو افترضنا أنّنا شاهدنا الجسيمات النّهائية للمادّة من خلال ميكروسكوب له قوّة تكبير بما يكفي فإنّها ستبدو متحرّكة، لا كقطارات تجري بسلاسة على قضبانها، بل كحيوانات الكنجر وهي تقفز في أحد الحقول[4]، وقبل أن تقفز الكنجر لا يوجد في عالم الظّواهر (التي تمّ رصدها حتّى الآن) ما يميّز الحيوانات التي ستقفز من تلك التي لن تقفز، فيحتمل هذا ويحتمل ذاك.

كما فشلت الميكانيكا الكلاسيكية فشلا ذريعا في تفسير مشكلة النّفق الكمومي وهو عبور جسيم لحاجز

إكتشف «هنري بوانكاريه» حساسيّة النّظام الشّمسي للشّروط الابتدائيّة، فكل تغير بسيط في الشّروط الابتدائيّة يؤدي إلى نتائج غير متوقّعة بل وربّما كارثيّة على مستقبل النّظام فيما عرف بعد ذلك بتأثير الفراشة الذي وضعه عالم المناخ «إدوارد لورينتز»

ذي طاقة جهد أكبر من طاقة حركة هذا الجسيم، لكن أمكن «دي برولي» من حلّ هذه المعضلة بفرض أنّ الجسيمات المتحرّكة تتمتّع بطبيعة مزدوجة[4] طبيعة موجيّة وطبيعة جسيميّة، فالموجات يمكن أن تسلك أحيانا كالجسيمات، وأحيانا كالموجات[6]. يسلك هذا الجسيم المتناهي في الصّغر مرّة كأنّه جسم كبير يخضع لقوانين الميكانيكا الكلاسيكيّة مثل ما في ظاهرة المفعول الكهروضوئي، وأحيانا لا، ومن ثمّ تمّ اللّجوء إلى نمذجته كموجة مثل ما في ظاهرة التّداخل. حدّد «إروين شرودنجر»[7] مفهوم الدّالة الموجيّة لتمكّننا من حساب احتمال وجود إلكترون في مكان معين، فهل يمكن حقًا أن تؤدّي الحسابات إلى احتمال وجود الجسيم في عدّة أماكن في آن واحد؟، أسئلة كبيرة تخرج بنا من الفيزياء إلي الميتافيزياء حيث تبدأ فكرة الأكوان المتوازية في الظّهور. والعجيب أنّه لا يدرى على وجه التّفصيل من وجهة نظر الرّياضيات ماهية الدّالة الموجية؟ فهل هي شيء مادّي ملموس؟ أم أنّها مجرّد أداة للحساب وللتّنبؤ بنتائج القياسات المعمليّة، نعوّض بها جهلنا بتفاصيل الكون المتناهي في الصّغر؟

تتجلّى هذه الثنائية العجيبة في تجربة الشّق المزدوج، حيث تُطلَق فيه إلكترونات مفردة خلال حاجز ذي شقّين، إذ تبدو الإلكترونات وكأنّها تعبر خلال الشّقين على النّحو نفسه الذي تعبر به الموجات الضّوئية، محدثةً نمطًا لنطاقات تداخل على الجانب الآخر من الحاجز، لكنّ محاولة مراقبته تُسبّب إنهيار دالّته الموجيّة وبذلك يتخلّى عن سلوكه الموجي ويختار العودة للتّصرف بشكل جسيم، هذا الانهيار يزداد بشكل كبير كلّما بدأت الجسيمات في الاندماج، حينها تفقد الأجسام الكبيرة خواصّها الكموميّة، وتتصرّف بشكل كلاسيكي. وكأنّ «الالكترون» يشعر بوجودك ومراقبتك له، أو أنّ معرفتنا بهذا العالم المتناهي في الصّغر مازالت وربّما ستظل متناهية في الصّغر وتحتاج لقرون عديدة حتّى تُصقل معرفيّا وتُعالج عيوبها عيبا عيبا حتّى نصل لنموذج قريب من الحتمية يتلاءم والحسّ العام مثل النّموذج الذي افترضه «دي برولي» في 1920م و«طوره دافيد بوم» في 1950م.

هذا الجهل بهذه الدّالة صار نعمة عندما خضع معظم الفيزيائيّين لأسلوب «احسب ولا تسأل» كما يقول «جين بيريكمونت» لأنّ ذلك أدّى بالفعل إلى تطوّرات هائلة في شتّى مجالات الفيزياء الحديثة، حتّى شاعت مقولة «دعونا لا نشغل أنفسنا الآن بالأسئلة الكبرى».

البصمة الكموميّة جزءٌ من المعركة الكبرى

كانت المعركة تحتدم يوما بعد يوم بين «أنصار الحتميّة» متمثّلين في «ألبرت أينشتين» وبين «أنصار الاحتمال» متمثلين في علماء فيزياء الكمّ الذين تبلور رأيهم فيما عرف تاريخيا باسم تفسير كوبنهاجن (بلانك، شرودنجر، هيزنبرج، بور وآخرين). كان تفسير كوبنهاجن يقول أنّه لا يمكننا معرفةُ شيءٍ حول موقع الجسيم

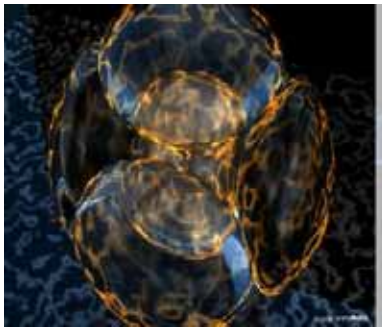

لا ندرى على وجه التّفصيل من وجهة نظر الرّياضيات ماهية الدّالة الموجية؟ فهل هي شيء مادّي ملموس؟ أم أنّها مجرّد أداة للحساب وللتّنبؤ بنتائج القياسات المعمليّة، نعوّض بها جهلنا بتفاصيل الكون المتناهي في الصّغر؟

حتّى نقوم برصده، بل إنّ البعض يقول إنّ الجسيمات غير موجودة في الواقع أصلا حتّى نلاحقها بعملياتنا الرّصديّة، وعند رصدنا لها تتشابك حالتها مع حالتنا، فيما سمّي بتشابك الدّوال الموجيّة، وهوعند اقتراب جسيمين دون ذريين من بعضهما فسوف يتفاعلان وتصبح خصائصهما متشابهة وسيكون هناك تشابك كمومي quantum entanglement بينهما حيث إذا أبقيت أحد الجسيمين في الأرض ووضعت الثاني في القمر سيبقى التّشابك والتّفاعل موجودا بينهما مهما كانت المسافة «كأن يكون كلّ جسيم قد وضع بصمته في الآخر» حتّى إن كانت المسافة الفارقة بين الجسيمين تساوي مئات السّنوات الضوئية. إنّ كلّ ما يحدث للجسيم الذي في القمر يمكنه أن يؤثّر على الجسيم الذي في الأرض والعكس بالعكس، أيضًا عندما نحاول إجراء قياسات على أحد الجسيمين فإنّ قياساتنا ستحدّد الحالة الكموميّة للجسيم الثّاني بشكل آني مهما كانت المسافة بين الجسيمين، ممّا يعني أنّ المعلومات سوف تسافر بسرعة أكبر من سرعة الضّوء، قد تشعر إنّ الأمر ضرب من الخيال لكنّ اليوم تمّت تجربة التّشابك الكمومي وتمّ إثباته أكثر من مرّة وأصبح من إحدى الحقائق الموجودة في الطّبيعة ويعمل العلماء على تسخيره لأهداف تخدم البشريّة مثل الكمبيوتر الكمومي، والنّقل الآني وغيرها. هذا التّشابك غير موجود في الميكانيكا الكلاسيكيّة التي لا تقبل أن تؤثّر الأجسام في بعضها إلاّ إذا كانت متلاصقة أو عن طريق الحقول التي بينها مثل الحقل الكهرومغناطيسي أو التّثاقلي. وبدلًا من قبول هذا التّأثير الشّبحي في ميكانيكا الكمّ، مالَ «أينشتاين» إلى الاعتقاد بأنّ الدّالة الموجيّة للجسيمات غير مكتملة، وخمّن أنّه قد تكون هناك بعض المتغيّرات الخفيّة التي تحدّد نتائج القياس، ولا تستطيع نظريات الكَمّ رصْدها. يقول «أينشتين» ساخرا هل تعتقِدُ حقّاً بأنَّ القَمرَ موجودٌ فقط عندما ننظُرُ إليه.

ثمّة معركة أخرى، ففي عام 1935 أرسل «شرودنجر» خطابا إلى «أينشتاين» يقترح عليه تجربة ذهنيّة وصفها كالتّالي: تخيَّلْ قطة وُضِعَت في صندوق من الصّلب، ووُضِعَّت معها مادّة مشعّة في الصّندوق نفسه، تطلِق نواتج إشعاعيّة باحتمال قدره 50% في السّاعة، ويرافق المادّة المشعّة جهاز سيقوم بتسميم القطّة حال رصده لأيّ نشاط إشعاعي. وحيث إنّ التّحلّل الإشعاعي عمليّة كميَّة، كتب «شرودنجر» أنّ قواعد نظريّة الكَمّ تفرض أنّه بنهاية السّاعة، يجب أن تكون الدّالة الموجيّة داخل الصّندوق خليطًا متساويًا بين قطّة حيّة، وأخرى ميّتة. مرّة أخرى يتبنّي تفسير «كوبنهاجن» أنّه ما لم نفتح الصّندوق وننظر داخله، فالقطّة بالفعل حيّة وميّتة في آن واحد، وعند فتح الصّندوق سينبثق عالمان متوازيان، أحدهما يحوي قطّة حيّة، والآخر يحوي جثّة قطّة ميّتة. على خلاف تصوّر الحتميين، فالقطّة داخل الصندوق إمّا حيّة أو ميّتة سواء فتحنا الصّندوق أم لم نفتحه وجهْلنا بالحقيقة سببه فقط أنّ الصندوق مغلق. وترجيح أحد التّفسيرين صعب جدّا من النّاحية التّجريبية لأنّ الاختلافات بين النّماذج التّفسيريّة واسع جدّا وهونفس حالة الصّعوبة التي تكتنف معرفتنا بمصير الكون هل

الاختلافات بين النّماذج التّفسيريّة واسع جدّا وهونفس حالة الصّعوبة التي تكتنف معرفتنا بمصير الكون هل سيتمدّد للنّهاية أم سيعود وينكمش وهل سيتكرر فيكون كونا متذبذبا

سيتمدّد للنّهاية أم سيعود وينكمش وهل سيتكرر فيكون كونا متذبذبا.

مزاوجة بين مفاهيم النّظريّة النّسبية والكَميّة

أوجد «أينشتين» تناظرا بديعا بين الجاذبيّة والهندسة، لذلك أصبحت الجاذبيّة وانحناء الفضاء الرّباعي الأبعاد شيئا واحدا، لكن لا يظهر هذا الأثر إلاّ على مستوى الكتل الكبيرة جدّا مثل الشّمس والكتل الأكبر منها. فإذا أردنا فحص جاذبيّة الجسيمات الصّغيرة جدّا مثل الجسيمات دون الذّرية فإنّ ذلك يستعصي دراسته من خلال مفاهيم «أينشتين» بهندسة الفضاء، لكن من الممكن تكميم الفضاء الرّباعي الأبعاد نفسه أي تقطيع الزّمان والمكان والتّخلي عن كونهما متّصلين. تسمّى هذه المحاولات بالجاذبيّة الكموميّة. نتوقع أن تصف الجاذبية الكموميّة درجات الحرّية الأساسيّة للطّبيعة، لذلك فإنّ فهم هندسة الفراغ رباعي الأبعاد عند مستويات الطّاقة متناهية الصّغر ربّما يخبرنا بذلك. ينقلنا هذا المفهوم إلى قضايا فلسفيّة جديدة، ماذا يعني اعتبارنا أنّ المكان والزّمان متقطّعان؟، هل تكون الطّبيعة مجرّد مشاهد كارتونيّة وُضع بعضها بجانب بعض مع وجود فراغات بينها لا تحتوي على شيء؟ أي لا تمثّل إلاّ العدم المطلق، لماذا لا ندرك تلك الفراغات؟. البعض يقول أنّ الإجابة بسيطة: لأنّ هذه الفراغات أصغر بكثير من أن ندركها بحواسنا، ولكن ربّما تتقدم تكنولوجيا القياس الميكروسكوبي فيمكننا ذلك. هل هذا يعني أنّ الطّبيعة ككل تحتوي على الوجود وعدم الوجود في آن واحد. الإجابة عند البعض نعم، إذا أثبتنا أنّ الزّمان والمكان متقطّعان، لكن هناك وجهة نظر أخرى هي أنّ الوجود يخلق باستمرار دون توقّف فاللّحظة الحاضرة تُخلق ثمّ تموت فتخلف وراءها فراغا ثمّ تُولد اللّحظة الملاصقة التي كانت في المستقبل منذ لحظة قبل أن تولد وهكذا.

أقل غموضا وأكثر غرابة

بدلا من سحابة الاحتمالات التي تمطرنا بها الدّالة الموجيّة وتطوّرها الزّمني في معادلة «شرودنجر»، اقترح «دافيد بوم» امتدادا لأفكار «دي برولي» أنّ الجسيم يسلك مسارا سرياليّا وله مواقع محدّدة في مساره حتّى وإن لم نرصده، لكن من الممكن رسم صورة جيّدة عن موضعه وربّما تحديده من خلال معرفة بعض الشّروط الابتدائيّة واقتراح معادلة تسمّى بمعادلة الموجة الدّليلة أو الموجّهة والتي تعتمد بدورها على الدّالة الموجيّة، تنتمي هذه النّظرية إلى طائفة الحتميّة على خلاف ميكانيكا الكمّ النّظرية، لكن وفي الوقت نفسه أتحفتنا برؤية جديدة لتجربة الشّق المزدوج كالتّالي: إنّ كل إلكترون يكون كراكب موجة يشغل مكانا محدّدا من الموجة مقابل كلّ لحظة زمنيّة، وبالتّالي عند وصول الموجة إلي الحاجز الموجود به الشّقين فإنّ الالكترون يخرج من شقّ واحد في حين تعبر الموجة الحاملة له من الشّقين، ممّا يؤدّي إلى الحفاظ على نفس النّتائج في النّموذج النّظري لميكانيكا الكمّ لكن برؤية جديدة حتميّة. يطرح هذا النموذج تصوّرًا مقبولًا لتأثير الموجات الدّليلية

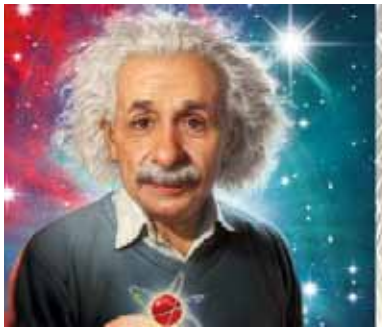

أوجد «أينشتين» تناظرا بديعا بين الجاذبيّة والهندسة، لذلك أصبحت الجاذبيّة وانحناء الفضاء الرّباعي الأبعاد شيئا واحدا، لكن لا يظهر هذا الأثر إلاّ على مستوى الكتل الكبيرة

في النّطاق الذّري، حيث يوضح ذلك «فورت» قائلا: «أخبرتنا الفيزياء الكلاسيكية أن تأثيرات كهذه لا يمكن أن تحدث، وها نحن نثبت إمكانيّة حدوثها.هناك مجموعة أخرى من النّماذج التي تَعتبِر الدّالة الموجيّة كيانًا حقيقيًّا، وُضعت في ثمانينات القرن الماضي، لمحاولة شرح خصائص مختلفة لافتة تميّز الأجسام الصّغيرة عن الكبيرة. فيتساءل «أنجلو باسي»، الفيزيائي في جامعة تريستا: «لماذا يمكن للإلكترونات أن تُوجَد في مكانين مختلفين في آن واحد، في حين لا يتسنّى هذا الأمر للطاولات، والكراسي، والأشخاص، والقطط؟». تفسر نماذج إنهيار الدّالة الموجيّة هذا الأمر حين تفترض أنّ الدّالة الموجيّة للجسيمات حقيقيّة، ولكنّها قد تفقد خصائصها الكموميَّة تلقائيًّا، وتحصر الجسيم ـ مثلًا ـ في مكان واحد فقط. يتمّ تصميم هذه النّماذج على نحو يجعل احتمال حدوث هذا الأمر متناهي الصّغر بالنّسبة إلى الجسيمات المفردة، ممّا يؤدّي إلى هيمنة التّأثير الكمومي على المستوى الذّري، إلاّ أنّ احتمال الانهيار يزداد بشكل كبير كلّما بدأت الجسيمات في الاندماج، حينها تفقد الأجسام الكبيرة خواصّها الكميَّة، وتتصرّف بشكل كلاسيكي. إحدى الطّرق التي يمكن بها اختبار هذه الفكرة هي البحث عن السّلوك الكمّي لجسيمات ذات أحجام أكبر. ولو صحَّت نظرية الكَمّ القياسية؛ فلن يكون السّلوك الكَمّي محدودًا بالحجم. وقد قام الفيزيائيون بالفعل بإجراء تجارب تداخل الشقّ المزدوج باستخدام جزيئات كبيرة.[8] أمّا لو صحّت نماذج الانهيار، فسيختفي التأثير الكمومي عند تجاوز كتل معينة. لذا تخطّط مجموعات علميّة مختلفة للبحث عن مثل هذه الحدود الفاصلة، باستخدام الذّرات الباردة، والجزيئات، والكتل المعدنيّة، والجسيمات النّانوية، على أمل أن تظهر النّتائج في غضون عقد من الزّمن. يقول «ماروني» بصدد ذلك: «تكمن عظمة كل هذه الأنواع من التجارب في أن نظرية الكمّ ستخضع لاختبارات عالية الدّقة بدرجة لم يصل إليها العلماء من قبل».

المراجع

[1] المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ص 96، ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م.

[2] زكريا إبراهيم «مشكلات فلسفية: مشكلة الحرية « ص 100.، مكتبة مصر، 1963م.

[3] وأنا أرى مرة أخرى أنّ ذلك راجع لعدم نضج النّموذج بعد ويحتاج لعقود لبلورة التّصورات بل وفصلها إجرائيا عن القضايا الفلسفيّة الكلّية

[4] جيمس جينز، «الفيزياء والفلسفة» ، ترجمة جعفر رجب ص 174.، دار المعارف، 1981، مصر.

[5] إبراهيم محمود أحمد ناصر، عفاف السيد عبدالهادي، أساسيات ميكانيكا الكم؛ ص 355، العبيكان للنشر، 2013م.

[6] ريموند تشانغ، «الكيمياء العامة: المفاهيم الأساسية»، ترجمة فواز عزت الخليلي ، جلال احمد زهره، عماد هاني الدجيلي، ملك ابراهيم القادري، احمد قاسم حسين، العبيكان للنشر، 2014م.

[7] Schrödinger, E. Phys. Rev. 28, 1049 -1926.

[8] Eibenberger, S., Gerlich, S., Arndt, M., Mayor, M. & Tüxen, J. Phys. Chem. Chem. Phys. 15, 14696–14700 -2013.

رفيق الشاهد
«مهندس»
chahed@meteo.tn

نعم ... ولكن ...

هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ و هل يختلف اثنان في معنى هذا السؤال الاستنكاري الذي يفيد تقديم من تقدموا على من تخلفوا. وما تقدم الأول في اللغة عن الثاني إلا لرفعة منزلته ولجلال مقامه. وإن شابت الديمقراطية شائبة أو أوخذت بمأخذ واحد لا يكون إلا في مساواتها بين صوت العالم المتعلم وصوت الجاهل الأمي.

هذا السؤال لم ينفه إطلاقا عاقل قارئ ولا غيره ممن لم يقرأ. إلا لما أسدلت الفوضى جناحيها على المدينة. وأطبقت بزعقها على من فيها. واختلط الحابل بالنابل. وغاب صوت الحق بين قرع طبول الباطل فأرجع الصدى من حينها همسا لوعة المظلومين وتأوه البائسين وذعر الخائفين، إشارة اهتز لها كل قلب صلد من حديد وانفجرت لها أنهار دمع من مقل قاحلة لم تستشعر يوما شذى طل خفيف وكذا أتلف النشاز طبلة كل حس رهيف. وأنت أيها الأعمى والأصم ماذا يفعل فيك سنا هذا البرق المهيب وزلزلة هذا الرعد الثقيل؟

منْ لم يقف عند الحدث، لما عمد بعض المعتصمين إلى قطع طريق السكة الحديد وبناء حائط عليها؟ إن كان تعبيرا عن رأي فقد نجحوا حيث بلغت الصورة أقاصي البلاد وقرأها على الفيسبوك الأمي قبل المتعلم، واللوم يوجه لمن ادعوا الفن التشكيلي والمسرح وغيرهما من الفنون أين أولائك الذين يشتكون كساد تجارتهم، فباتوا في سبات عميق وفي غفلة بعيدا عن توقع حدوث الكارثة. هذه التراجيديا الواقعية لا تخص الحدث بذاته بل آثاره على هؤلاء المتفرجين الفاعلين في الأحداث نفسها. نحن اليوم في مسرح كل جمهوره على الخشبة. الكل يلعب دور الذي يخاطب نفسه. الكل يلعب دور الحاضر الغائب مونولوج موضة المسرح الجديد، من نسي أو تناسى، يُملَى عليه ويلقَّن من تحت الخشبة أو من خلفها وينهر نهيرا شديدا. ولكن أين المخرج؟ من كاتب هذه المسرحية الركيكة على تركيبها وتعقيدها؟ ولمن هذا السيناريو البائس الهزيل على وفرة الممثلين المتنازعين البطولة إلى حد إضرام النار والموت حرقا؟ من الذي دفع بالجاهل وبالمتعلم معا إلى الخطيئة. إذا لم يعذر الجاهل بجهله فكيف يعذر مَن ادعى الحكمة بجهالة الجاهلين!. ما الفرق بين قاطع سكة الحديد وحاجب أعداد التلاميذ؟ كلاهما مفسد في الأرض، ولا يشرّع لكليهما حق.

وإذا البنت سألت، بأي ذنب حرمت منحة دراسية أهدرها سُعداء حظ، ابنا معلّم وأستاذ واليوم بنت جامعي؟ هل اجتهدت نخبنا فوضعت دستورا للبلاد ليكونوا أول مناقضيه ؟ هل يحق القول «نكبتنا في أساتذتنا»؟

كلا! لا أريد أن أصدّق.

حتّى

لا ننسى

26 أفريل 1986
«انفجار تشرنوبيل»

يوم 26 إفريل 1986، استيقظ العالم على أكبر كارثة نووية حدثت فى التاريخ، وهى انفجار بالمفاعل النووى «تشرنوبل» فى بلدة بربيات بأوكرانيا،بلغت خسائر الكارثة المادية ماقيمته 3 مليارات دولار أمريكى، ولقى 36 شخصا مصرعهم وأصيب أكثر من 2000 شخص. تصنف الكارثة عالميّا كأسوأ كارثة للتّسرب الإشعاعى والتّلوث البيئى شهدتها البشريّة حتّى الآن.

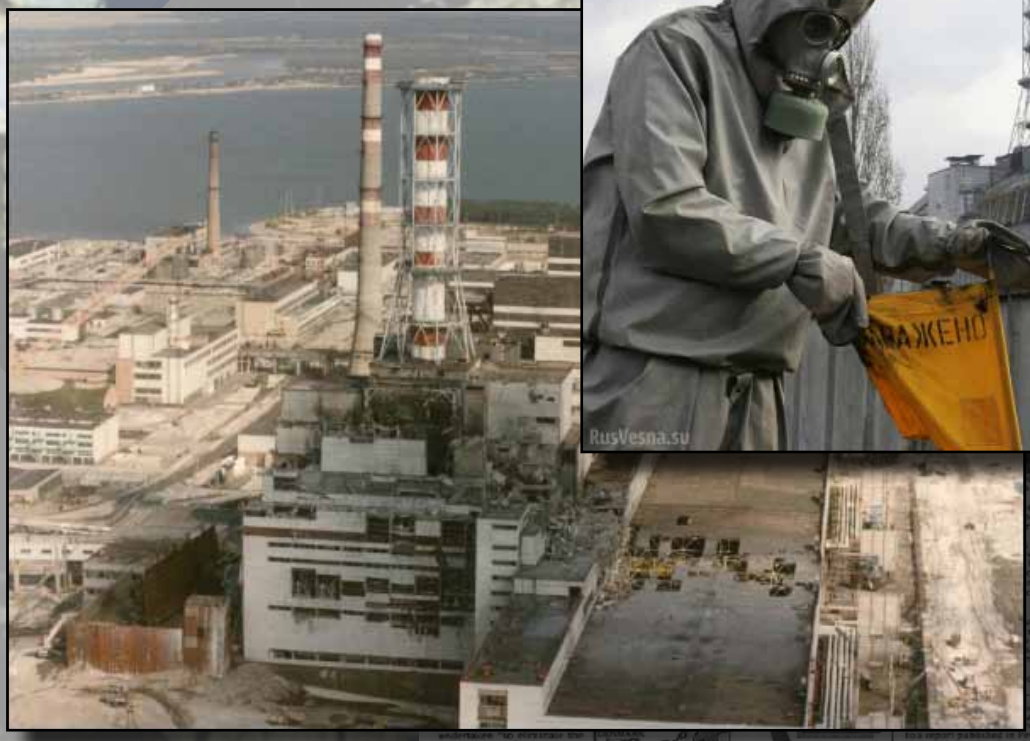

د. مصطفى يوسف اللداوي
«كاتب فلسطيني»
moustafa.leddawi@gmail.com

صفقة القرن رَفاهيةٌ بذلٍ أو سَحقٌ بعزٍ

لم تعد صفقة القرن وهماً أو خيالاً، ولا أماني أو أحلاماً، ولا هي هرطقات عجوزٍ أو حسابات تاجرٍ هرمٍ، كما لم تعد مجرّد أفكارٍ ومجموعة تصوّراتٍ، ولا مبادراتٍ ومساعي حلولٍ، بل غدت خططاً ومشاريع، وخرائط ورسوماتٍ، وحدوداً وحكوماتٍ، ووقائع وحقائـق، وعمّا قريب سيتمّ الإعلان عنها رسميّاً، والكشف عن بنودها فعليّاً، ولن تعود غامضة أو سرّيـــة، بل ستكون علنيّة وصريحـــة، وسينشغل العالم بها وستخضع المنطقة كلّها لها، وسيعمل حكّام المنطقـــة عبيداً فيها وخدماً لسيّدها، وسيعبّدون الطّريق أمامها وسيذلّلون العقبات من طريقهـــا، ولن يقوَ أحدٌ منهـم على الوقوف ضدّها، بل سيخضعون الرّافضين لهـــا وسيعاقبون المناوئين لها، وسيضيّقون على المعارضين لها حتّى يقبلوا بها، أو ينسحبوا من الميدان ويتركوا السّاحة السّياسية لغيرهم ممّن ينسجم معهم ويقبل، ويخضع لهم ويخنع، ويسلّم بتصوّراتهم ويتبع.

انتهى الوقت الممنوح لمختلف الأطراف عدا الفلسطينيّين الرّافضين لها بالمطلق، والمعارضين لها بمختلف توجّهاتهم السّياسية وانتماءاتهم الحزبيّة والتّنظيميّة، للتّعديل عليها، أو لتبديل بعض بنودها، أو لإبداء الرّأي في مختلف جوانبها، ولم يبق إلّا الإعلان عنها رسميّاً، والمباشرة في فرض تنفيذها عمليّاً، وإكراه الأطراف على القبول بها، ويبدو أنّ دول المنطقة كلّها باتت تترقّب خطاب الرّئيس الأمريكي «دونالد ترامب» الذي سيخصّص لها، وفيه سيتمّ الإعلان الرّسمي عنها، وقد كان من المقرّر أن يعلن عنها يوم الثّاني عشر من شهر مارس/آذار الحالي، ولكنّ الإعلان أرجئ ولم يلغَ، وتأخّر ولم ينسَ، وتنتظره بعد الخطاب مرحلتان مهمّتان لهما دورٌ كبيرٌ في خطّته، الأولى القمّة العربيّة التي ستبارك الصّفقة، والثّانية زيارته للكيان الإسرائيلي في ذكرى النّكبة لافتتاح سفارة بلاده في مدينة القدس المحتلّة.

المعروض على الفلسطينيّين اليوم أمران لا ثالث لهما، ولا خيار أمامهم في غيرهما، فإمّا القبول بهذه الصّفقة المبهمة الغامضة الغريبة العجيبة المجحفة الظّالمة، مقابل رغد العيش ورفاهيّة الحياة، واتساع الأرض، وحرّية العمل والتّجارة، وانتعاش الحياة الاجتماعيّة ودوران عجلة الاقتصاد المحلّية، وتوفير الاحتياجات الأساسيّة لهم من كهرباء دائمة ومياه شربٍ نقيّةٍ، وبنى تحتيّة جيّدة، وخدماتٍ مدنيّة على مدى السّاعة، وحرّية سفر وانتقال، وجواز سفرٍ محترمٍ ومقدّر، واعترافٍ دوليّ بكيانهم الجديد ودولتهم العتيدة، وعلاقاتٍ حسنةٍ

مع الجوار العربي المحيط ودولة الكيان، ومع الولايات المتّحدة الأمريكية ودول أوروبا مجتمعة، ومعها سلّة أخرى من تقديمات حسن النّوايا الإسرائيليّة، كالإفراج عن الأسرى والمعتقلين، وإعادة جثث الشّهداء وكشف اللّثام عن المفقودين وتسليم رفاتهم، والسّماح بالعمالة الفلسطينيّة بالعمل في سوق العمل الإسرائيلي في مختلف قطاعات البناء والزّراعة والمعامل والمصانع وغيرها.

المعروض على الفلسطينيّين اليوم أمران لا ثالث لهما، إمّا القبول بصفقة القرن الغامضة الغريبة أو الحصار الدّائم والتّجويع المطلق، والشّطب الكلّي من على الخارطة السّياسية.

أمّا الخيار البديل للقبول والموافقة، والسّير في طريق تصفية القضيّة الفلسطينيّة وإنهائها، ووضع حلٍّ نهائي وأبدي لها، بما يرضي «الشّعب اليهودي» كلّه، وبما يحقّق الأمن المطلق والدّائم للإسرائيليين داخل حدود كيانهم الجديد، فإنّه السّحق الكامل والحصار الدّائم والتّجويع المطلق، والشّطب الكلّي من على الخارطة السّياسية والقطاعات العسكريّة، وعلى القوى السّياسية أن تعمل فكرها وتحرّر عقلها وتجري حساباتها، وتقرّر بين أن تكون أو لا تكون، وبين أن تشارك أو تشطب، وبين أن يكون لها دور أو تهمش وتتبع، وفي خطط الصّفقة الموازية تأليب الشّعب ضدّ قواه، وتشجيع حركات التّمرد والخروج، والثّورة والانتفاضة ضدّ القوى والتّنظيمات، وضدّ السّلطة والمنظّمة.

ربما لا تعلم الشّعوب العربيّة أنّ حكوماتها وقادتها أصبح أغلبهم جزءًا من هذه الصّفقة وطرفاً فيها، وركناً أساسياً في فرضها وتطبيقها، بل إنّ بعضهم يمارس الضّغط والإكراه، ويلوّح بالحصار والعقوبات، والتّجريد والإقصاء والحرمان، في حال لم يوافق الفلسطينيّون على الصّفقة ويقبلوا بها، ولتعلم الشّعوب العربيّة أنّ حكومات بلادهم قبلت بهذه الصّفقة المذلّة المخزية بلا مقابل، ووافقت عليها بلا ثمن، بل إنّ بعضها سيدفع مالاً وأخرى ستتنازل عن أرضٍ، وغيرها ستتكفّل بمشاريع، وجميعها ستقبل بالتّوطين وستمنح الجنسيّة للفلسطينيّين المقيمين على أرضها، وستشطب عنهم صفة اللّجوء التي حملوها معهم لسنين طويلة، أي أنّ هذه الحكومات ستعمل في هذه الصّفقة بالسّخرة والإكراه، أجيرةً ومستخدمةً، وإلاّ فستكوى ظهورهم بالسّياط الأمريكيّة، وسيقصون من مناصبهم، وسيحرمون من سلطاتهم، وسيسقطون كما سقط غيرهم وهرب أو قتل.

لعلّنا اليوم وللمرّة الأولى أمام قيادتين ترفضان ما نرفض، وتعترضان على ما نعترض، وهما السّلطة الفلسطينيّة وحكومة المملكة الأردنيّة الهاشميّة، التي تستشعر الخطر مثلنا، وتبدي خوفها أكثر منّا، وتعلن معارضتها للصّفقة وعدم قبولها بها، وهو نفس الموقف الذي سمعناه من رئيس السّلطة الفلسطينيّة

«محمود عباس»، الذي أعلن بوضوحٍ رفضه للصفقة وعدم موافقته عليهـا، ووعد بعدم تمريرها مهما كانت الأسباب.

لذا نحن مدعوون جميعاً للتّوافق والمصالحة والحوار، واللّقاء والتّفاهم والثّبات، وعلينا أن نقوّي مواقفنا، وأن نوحّد جهودنا، وأن ننحي مشاكلنا جانباً، وأن نتحالف مع الموقف الأردني ما بقي معارضاً لهذه الصّفقة ورافضاً لها، وعلينا أن نحرّض الشّعوب العربيّة لتقف معنا وتؤازرنا في موقفنا، وأن تمنع حكوماتها من الضّغط على الفلسطينيّين وتشديد الحصار عليهم، أو فرض عقوباتٍ جديدةٍ عليهم.

لا شكّ أنّ الفلسطينيين بين أمرين أحلاهما مرّ، وبين خيارين أفضلهما شرّ، ولكنّ المخلص للوطن والصّادق مع الشّعب والنّفس، والمتطلع إلى المستقبل والغد، والذي ينشد الماضي العريق وصفحات المجد التّليد، فإنّه لا يقبل بالمساومة، ولا يخضع للخيارات، ولا يقبل بالتّسويات.

فالفلسطينيّون أصحاب قرار وعندهم عزمٌ وإرادة، وبدونهم لا يكون حلٌ ولا تمضي صفقة، ولا يقوى رئيس أكبر دولةٍ ولا زعيم أبغض كيانٍ أن يملي على الفلسطينيّين حلاً لا يقبلونه، أو يفرض عليهم تسويةً تشطب وجودهم، وتصفي قضيّتهم، وتشتّت المشتّت من شعبهم، وتنزع عنهم جنسيّتهم وتستبدلها بغيرها، أو تنفي عنهم ملكيّة الأرض والأقصى والمقدّسات، فالفلسطيني هو الأساس وهو صاحب الحقّ الشّرعي المطلق، فلا تمرّ صفقةٌ بغير إرادته، ولا يفرض حلٌ بغير موافقته، وهيهات أن يكون بينهم خائنٌ فيفرط، أو عميلٌ فيبيع، أو مهادن فيضعف، أو متآمر فيقبل.

عبد اللطيف علوي
«شاعر وأديب تونسي»
alouiabdellatif222@gmail.com

كلمات

بماذا تتفاءلون؟

في زمن مضى، كان لديكم إله في قصر قرطاج. صار لديكم رئيس، تنقدونه علنا وتقذفونه بالطّماطم والجبنة الفاسدة.

كان لديكم حكومة من الأولياء الصّالحين، لا أحد من وزرائها يخطئ أو يحاسب أو يتجرّأ مواطن على النّظر في عينيه، صار لديكم بشر خطّاؤون نشتمهم بأسمائهم وأوصافهم ويحاسبون في الإعلام وتمسح بهم أرضيّة مجلس النّواب وهم صاغرون.

كان لديكم مجلس دوابّ يصادق ويزكّي برفع القوائم ووضع الحافر. صار لديكم ساحة حرب حقيقيّة، الجميع يدافعون عن مواقفهم وآرائهم مهما كانت حساباتهم وتوجّهاتهم.

كان لديكم قضاء يحكم بقضاء الحاكم وقدره، صار اليوم يبتّ في دستوريّة القوانين ويحاسب الوزراء ويجرّهم إلى التّحقيق والاستقالة ويحكم بعدم سماع الدّعوى في قضايا يرفعها الرّئيس ويخرج منها بذيل مكسور.

لا يمكن لشعب عانى الاضطهاد والميز الجهويّ والتّخلّف والتّبعيّة قرنا كاملا أن يتحرّر من كلّ ذلك في سبع سنوات، لكن بإمكانه أن يتحرّر من خوفه كي يبدأ الطّريق... ونحن قد تحرّرنا من خوفنا...حياة الشّعوب تبدأ من تلك اللّحظة الّتي تتحرّر فيها من الخوف، وتلك اللّحظة لا تأتي غالبا إلاّ بأنهار من الدّماء...

نحن تحرّرنا من الخوف ودخلنا عصر التّاريخ، لكنّنا لا نريد أن ندرك قيمة هذه اللّحظة، لأنّنا نعتقد أنّ الثّورة فعل ناجز، تمّ وانتهى، في حين أنّها مسار طويل، البناء فيه أصعب من الهدم بكثيير، ويحتاج إلى صبر أيّوب وحكمة لقمان ويقين يوسف... (ماهوش يوسف الشاهد)

الحرّيّة لا يمكن أن يعرف قيمتها من استيقظ ذات يوم، فوجد نفسه حرّا بالصّدفة. الحرّيّة لن يدرك قيمتها إلاّ من حلم بها طويلا واشتاق إليها ودفع من أجلها حبّات العمر وضحكة الأبناء ودموع الأمّهات والأهل والأصحاب. لذلك سوف يظلّ يوجد دائما في هذا البلد شعبان (ماهوش شعبان عبد الرّحيم)، يعيشان في عالمين منفصلين تماما... شعب مؤمن بالثّورة ممتلئ باليقين مدرك لقيمة ما تحقّق في هذه السّنوات القليلة مقبل على مواصلة الطّريق بعزم وجلد ويقين. وشعب بكّاء محبط جزوع قنوط ليس له مرجعيّة للمقارنة، يتّبع السّفهاء من المبشّرين بالقحط والخراب

د. لطفي زكري
«أستاذ الفلسفة»
zekri.lotfi@yahoo.fr

الأزمة ضرورة لبدءٍ فكري ثوري

قد يبدو غريبا للوهلة الأولى الحديث عن الأزمة بوصفها ضرورة. ذلك أنّ الموقف الفكري أمام الأزمات هو غير نظيره أمام الضّرورات. فهو أمام الأزمات موقف مواجهة وسعي إلى المجاوزة بالبحث عن المخارج الممكنة منها. أمّا إزاء الضّرورات فيكون موقفا تبريريّا يعمل على تكريس الواقع القائم، حتّى وإن كان دون مستوى الانتظارات التي يأملها. لكن حين توصف الأزمة بالضّرورة، فإنّ الفكر المتمثّل للفارق بين منطق الأزمات ومنطق الضّرورات يجد نفسه في وضع مفارقي يحمله على معايشة التّردّد في اتخاذ القرار. أي هل يمكنه أن يتصرّف مع الأزمة بخلاف ما يقتضيه منطق الأزمات؟ وهل يستطيع أيضا أن يتصرّف مع الضّرورة بخلاف ما يقتضيه منطق الضّرورات؟ وسواء كان هذا أو ذاك، فهل أنّ القصد من تصنيف الأزمة في قائمة الضّرورات هو البحث لها عن مبرّرات التّسويغ وموانع التّجاوز حتّى يضفي الشّرعية على التّصرفات التي ينقاد لها النّاس في ظلّها أم هو الكفّ عن التّعامل السّلبي المميّز للموقف الفكري السّائد من الأزمة؟

قد يكون من الصّعوبة بمكان أن نفهم وأن نقبل بأنّ ضرورة الأزمة مفارقة تحكم أيضا العقل ذاته، لأنّ وضعه المأزوم لا يعود إلاّ إلى فترات ضروريّة من اللاّعقلانيّة داخل العقلانيّة نفسها. لذلك كان من الضّروري التّمييز في العقلانيّة بين الظّاهرة والماهية، حيث أمكن أن تتّضح الأزمة كفشل ظاهريّ للعقلانيّة. لكن سبب فشل ثقافة عقليّة لا يكمن في ماهيّة العقلانيّة ذاتها، بل فقط في اقترانها بالنّزعة الطبيعيّة والنّزعة الموضوعيّة المميّزتين للعلوم الحديثة.

لكن كيف يمكن لنجاح هذه العلوم الحديثة أن يكون في ذات الوقت عنوان فشل العقلانيّة ظاهريّا على الأقل؟ أي بأيّ معنى يمكننا الحديث عن النّجاح في الفشل أو عن الفشل في النّجاح؟ وإذا كان للعقلانيّة ماهية تختلف عن مظاهرها، فهل يعني هذا أيضا أنّ للأزمة ماهية ومظهرا؟ وهل يفهم من هذا أنّ التّأويل التّاريخي يتضمّن ثغرة إمّا على جهة الإفراط في تقدير الأزمة، وإمّا على جهة القصور في فهم أسبابها؟

حين يغدو العالم فكرة لا متناهية لا يمكن حيازتها إلاّ من خلال سلسلة لا محدودة من العمليّات التّقنية، فإنّ هذا لا يتعارض في الواقع مع مقتضيات هذه المعرفة العلميّة الجامعة التي تشكّل إحدى دعائم النّزعة الموضوعيّة. وتظلّ هذه المعرفة الجامعة مجرّد غاية لا يمكن الاقتراب منها إلاّ على نحو لا نهائي. لكن

بالرّغم من هذا التّباعد، فهي تبقى قابلة للتّحقّق إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وضعها ضمن التّقدم اللاّنهائي الذي تراكمه أجيال متعاقبة من الأبحاث النّسقية. وعليه فإنّ الصّورة التي ترسمها العلوم الحديثة عن العالم تخلص إلى النّظر إليه بوصفه وحدة عقلانيّة نسقيّة، يقبل كلّ جزء من أجزائها أن يتحدّد بكيفيّة عقلانيّة.

قد نسلم أمام تشعّب الاختصاصات العلميّة بأنّ تقسيم العالم إلى مجموعات لا متناهية من الحقائق القابلة للتّحقق في مسار لا متناه، كان يتمّ بفعل هذه المعرفة النّظرية-التّقنية إمّا بشكل خالص كما هو الشّأن في الرّياضيات وإمّا بشكل تجريبي ومتدرّج كما هو الحال في علوم الطّبيعة.

ومن شأن هذا التّقسيم أن يضاعف آمال الإنسان في السّيادة على الطّبيعة في عصر النّزعة الموضوعيّة، بنفس المقدار الذي يضاعف إمكانات تحقيق الشّروط التي ترفع النّظرية إلى مرتبة علم كلّي موضوعي. لكن أنّى لنا بتحقّق هذا العلم الكلّي ونحن نسبح في بحار لا متناهية من الحقائق الجزئيّة؟

المفكّر الحقيقي ليس هو ذاك الذي يفرّ من الأزمات أو يهاب مواجهتها، بل هو من يحرص على مطاردتها وتصيّدها ورفع الغطاء عنها، انسجاماً مع المهمّة النّظرية الملقاة على عاتق كلّ مفكر بما يقتضيه المقام من توليد للسّؤال

لمجاوزة هذ الوضع المأزوم، لا يمكننا أن نتخطّى الأزمة إلاّ بعود إلى العمق الأكثر أوّلية، أي بواسطة التّكرار لما تمّ نسيانه. والسّبب هو أنّ الأزمة لا تهزم إلّا بإعادة اكتشاف ما تمّ حذفه ونسيانه، وهو الذّاتية الأصلانيّة للفرد. لذلك أيضا لا يمكن لهذه الإعادة أن تنجز إلاّ بالعود إلى العالم المعيش. ونعني بالعالم المعيش العالم العيني والمألوف حيث تعاش الدّلالات الثّقافية مباشرة. إنّه العالم الذي نوجد فيه دوما. وهو العالم الذي تعمل المقاربة الموضوعيّة للعلوم على تشويه صورته بمحاولة إقحام طبيعته الشّخصية والرّوحية في بنية نظريّة غريبة عنه تماما. ومن بين جميع العلوم يحتلّ علم النّفس مقاما متميّزا في عودنا إلى العالم المعيش. فهو يمنحنا توضيحا للقدرات الهائلة للعلوم الإنسانية ولإخفاقاتها المتتالية.

قد يكون صحيحا أن نرى في الأزمة مرحلة من الاحتضار والفوضى والعجز والضياع، لكن لا شيء يمنعنا من النّظر إليها أيضا بوصفها مرحلة طفرة كبرى لمبادئ توجّه التّفكير والممارسة طوال العقود اللاّحقة لها. إنّها مرحلة يعترف فيها العقل صراحة بالعجز أمام انسداد الآفاق وحدّة الفوضى التي تلفها. وقد يرجو مجيء من يعيد بناء الفكر ويخرج به من المأزق الذي تورّط فيه.

والمفكّر الحقيقي ليس هو ذاك الذي يفرّ من الأزمات أو يهاب مواجهتها، بل هو من يحرص على مطاردتها وتصيّدها ورفع الغطاء عنها، انسجاماً مع المهمّة النّظرية الملقاة على عاتق كلّ مفكر بما يقتضيه المقام من توليد للسّؤال، بما هو تعبير عن استشكال راهنه، أي بما أفضى إليه أو بما سيؤول إليه، وبما أنّ كل نقد ينبني

بالأساس على فرط انفلات يبوح به التّمشي التّاريخي، بوصفه مشيرا ومؤشّرا على حدوث أزمة. ذلك أنّ الفكر المأزوم هو الفكر الذي يتناسى أزمته بدل الانشغال بأسبابها وتداعياتها والاشتغال على حلّها والخروج منها.

أمّا الفكر الشّجاع فهو ذاك الذي يجرؤ على الاعتراف بوضعه ويعي حدود قدرته على معالجته. إنّه الفكر الذي يعود على ذاته وإليها بغاية اقتحام كلّ ما بقي منسيّا في قائمة انشغالاتها. وإذا كان العقل لا يحول دون وقوع الأزمة، فإنّه على الأقل يتحصّن من الانهيار أمامها. ولعلّ هذا ما يفسّر حرصه على رتق الفتق بين الوقائع والماهيات من خلال ابتكاره لضرب من الميتافيزيقا الاستقرائيّة التي يؤسّسها على الوقائع التّجربية خلافا للميتافيزيقا التّأمليّة. وهو مفهوم مثير لأنّه يبرز محاولة إنقاذ الميتافيزيقا بالوقائع أي بما كان سببا في أزمتها. فهل ينبغي إنقاذ الميتافيزيقا من الوقائع أم بالوقائع؟ وهل يكفي أن نفصل بين واقع اتخاذ العقلانيّة طابعا خارجيّا سطحيّا وبين ماهيتها حتّى نتمكّن من إنقاذها؟

ليس التّأزيم إذن فعلا مضادّا للبدء والتّدشين الفكريّين، بل هو يلوح بمظهر الشّرط الضّروري لهما. والمفكّر الحقّ هو ذاك الذي يولد من رحم الأزمة وليس هو من يظهر كالفطر بعد نزول الغيث وانتهاء القحط. ويبدو النّزوع إلى التّأزيم قصدا بيّنا في علاقة العقل بالعلم والفلسفة تاريخيّا. فإذا كان هذا التّأزيم للعلم قد قام على بيان أنّ نجاح العلوم في دراسة الطّبيعة هو عنوان فشلها أيضا، فإنّ امتداده نحو الفلسفة كان من خلال بيان إخفاق الفلسفة النّقدية في بلوغ القصد النّظري من التّمييزات بين أحكام الإدراك (التّفكير) وأحكام التّجربة (المعرفة). هذه شهادة على أنّ لحظة تأزيم الفلسفة هي ذات اللّحظة التي أزّم فيها العلم. وهذا يعني أنّ العود إلى السّابقين لا يشذّ عن هذا القصد التّأزيمي، بل هو بالأحرى الأفق الضّروري له.

تكمن أزمة العقل النّقدي في الدّغمائية المتخفّية تحت شعار النّقد. ذلك أنّ الفكر النّقدي كان يرى أمامه مهاما ضروريّة يتعيّن عليه الاضطلاع بها، لكن الكيفيّة التي نحاها بها بحجّة أنّه يمكن الاستغناء عنها، تبيّن بوضوح أنّه لم يكن يدرك المعنى الحقيقي والكامل للمشكل النقدي. ذلك أنّ الرّغبة الجذريّة في تكوين نظريّة علميّة، وهي الرّغبة التي شكّلت التّقدم الكبير في الفكر الحديث، لم تجد في النّقد مناسبة استئنافها، بل وجدت فيه سبب عطالتها. لكن إذا كان هذا هو فعلا القصد من العود إلى السّابقين، فهل ينبغي علينا أن نفهم المنزلة التي خصّ بها السّابقون على جهة اعتبارهم مرجعا في هزم الأزمات التي تمرّ بها العلوم والفلسفات أم على جهة اعتبارهم أفقا للتّأزيم الضّروري في الاضطلاع بالبدء أو التّدشين الفكري؟

الآكد هو أنّ التّفكير صار ممكنا منذ اللّحظة التي تخفّف فيها الفكر من جميع أحكامه واستعاد وضع السّذاجة السّابق لها. فالسّذاجة هنا ليست وضعا سلبيّا دالاّ على بساطة التّفكير والافتقار إلى الذّكاء والحُنكة والنّباهة

يبدأ التّفكير حيث يصمت المفكّرون، لذلك كان على الفكر أن يكفّ عن جميع صور الحكم أو اتخاذ المواقف حتّى يتسنّى له مباشرة الأشياء بذاتها كما هي في عالم الحياة.

والدّهاء وسهولة الانخداع، بل هي حالة ذهن يقظ أزال كلّ الحجب التي كانت تغشي الأشياء وتمنعه من الذّهاب إليها بذاتها. أي ذهن استعاد وضعه الأصلي في علاقته بذاته وبالعالم من حوله.

فالتّفكير يبدأ حيث يصمت المفكّرون، لذلك كان على الفكر أن يكفّ عن جميع صور الحكم أو اتخاذ المواقف حتّى يتسنّى له مباشرة الأشياء بذاتها كما هي في عالم الحياة. إنّ ما يعيق التّفكير هو الوقوف على عتبات الأنساق الفكريّة ومداومة الإصغاء إلى المفكّرين بدل الإصغاء إلى الأشياء في انعطائها المباشر والسّاذج. فالسّذاجة بهذا المعنى لم تعد عائقا يحول دون التّفكير بل صارت أولى الضّرورات التي يقتضيها الاضطلاع به.

لا سبيل لتجاوز أزمة العلوم الحديثة التي صاحبت اتساع دائرة انتشار التّداول التّقني وهيمنة النّزعة الموضوعيّة إلاّ بالعود إلى مبادئ العقلانيّة وماهيتها والإعراض عن الانحرافات التي أصابت تطبيقاتها. وما العقلانيّة إلاّ تجسيدا أعلى لهذه المعرفة التي ترفع العقل إلى مقام الحكم والقانون الخاصّ بها. وإذا كان العقل المحض هو حقيقة الذّات، التي هي مقرُّه البدئي، فإنّ وظيفتها الأنطولوجيّة هي وظيفة هذا العقل عينه، أي التّفكير بوصفه فهما للفهم. لذلك كان على كل تفكير محض أن ينطلق من فهم الفهم، أي من تمعين للعقل بما يفعله أوّلاً. وهذا التّمعين يميّزه من ثقافة الابستمولوجيا كونُه لا يتوقّف عند طرح السّؤال: ماذا عليَّ أن أفهم؟ بل نجده يتعدّاه إلى سؤال: ماذا يعني أن أفهم؟ وقد يتضامن السّؤالان معاً، عندما لا نرى توحيداً تطابقيّاً بين الذّات والعقل. فهنالك مساحات من الذّات لا محلّ للعقل فيها، كما أنّ هناك للعقل آفاقاً، قد لا تستثير شغفاً لدى الذّات. لكن مواجهة الأزمة لا تفرض على الذّات المأزومة مجرّد الفهم، بل تستثيرها أيضا إلى تعميق هذا الفهم بالقدر الذي يساعد على تخطّي الأزمة. ذلك أنّ أساس أزمة العلوم هي أزمة الفهم الذّاتي للإنسان. لا يمكن تجاوز هذه الأزمة إلاّ بتعميق الفهم الذّاتي للإنسان.

هكذا يظلّ الإنسان بمثابة المفهوم المرجعي الذي يلجأ إليه المفكّر كلّما اشتد اختطافه إلى ساحات متاخمة لحدوده الأصليّة واستشعر عدم قدرته على فهم ذاته. لكن هذا اللّجوء لا يعني بالضّرورة أنّ الإنسان كتجريد أقنومي يقيم بمنأى عن كلّ المؤثّرات، ويمكنه أن ينجو دوماً من عين الاختطافات التي تعرض لها تاريخ الذّات، وخاصّة عندما يتمّ تصريفها من خلال مفردات السّياسة اليوميّة في النّطاق المحلّي أو في النّطاق العالمي.

من هنا كان لا بدّ من لحظة تمعين وإعادة تمعين للّفظ، والكشف عن مدى براءته المفهوميّة وتحرّره من كلّ التّوظيفات البراغماتيّة التي تتقاذفه من كلّ الجهات. فليست تداوليّات النّزعة الإنسانيّة مخلصة دوما لثقافة الإنسان باعتباره معياراً لذاته. إنّ ألفاظه وأسماءه ومشتقّاته هي من الشّيوع والعموميّة، بحيث يغدو الإنسان

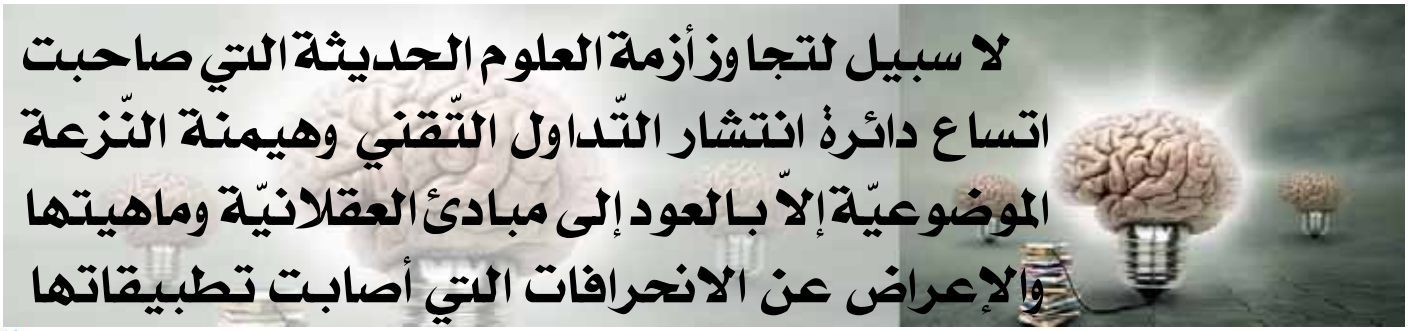

عينه محتاجاً لإعادة التّعريف بعد كلّ استخدام لمفرداته، كخصائص أو كدلالات. فحالات التّحريف التي تعتري الإنسان من خلال استخداماته اليوميّة اللاّمتناهية للأشياء والمفاهيم لا علاقة لها بحقيقة أن للإنسان تعريفاً لا متناهياً أبداً. وهذا ما يجعلنا نلج المدخل الآخر الذي نقصده بدئياً لاستئناف حوارٍ مع هذا التّعريف الذي لا نهاية لمعرفته في المحصلة.

إذا تأتى لنا تعميق الفهم الذّاتي للإنسان بتجاوز سطح الوقائع إلى الماهيات، فإنّ أمل الخروج من الأزمة يبقى قائما. لكنّ هذا الأمل في الخروج لا يعني بالضّرورة كثرة الخيارات أو تعدّد الإمكانات، بل يعني أنّ المفكر وقد صار مفكّر أزمة لا يقف عند تشخيص الأسباب التي أدّت إليها بل يذهب إلى استشراف تداعياتها وإمكانات تجاوزها، لذلك يضعنا في مفترق طريقين:

أولاهما: الأفول وإعلان المنتهى بالسّقوط في مهاوي الانحطاط والبربريّة بفعل نسيان المعنى العقلاني للحياة. ويمثل هذا الإمكان سبيلا لخروج لاعقلاني من الأزمة طالما أنّ الأفول حالة من الغياب أو التّلاشي والاضمحلال التّدريجي الموصل إلى المنتهى (الموت). إنّ الأفول يعني استحالة الوجود إلى حريق يبيد آخر ما تبقى من بذور الإيمان أو إلى نار يأس من القدرة على الاضطلاع برسالة إنسانيّة. وحينها يكون ماء الحياة قد جفّ في مختلف شرايين المجتمع وتكون النّار قد حوّلت الوجود المأزوم إلى رماد تلفظ فيه النّار آخر أنفاسها.

ثانيتهما: الانبعاث بإعلان البدء بالعمل على نهضة الإنسانيّة عن طريق إحياء روح التّفكير بالكفّ عن إنعاش أي فكر تاريخي. وهو إمكان يحرّكه التّفاؤل الشّديد بقدرة العقل على حلّ المشكلات التي صاحبت أزمة البشريّة بفعل هيمنة النّزعة الطّبيعية والموضوعيّة (العلميّة). بيد أنّ هذه الثّقة في قدرة العقل على تحقيق الانبعاث الذي ينقذ البشريّة من الاستمرار في معايشة أزمة تزداد حدّة مع كلّ نجاح علمي أو انتصار تقني لا تعني بأيّ حال أنّ المهمّة يسيرة.

إنّ منطق الانبعاث هو استعادة الحياة من حريق الإبادة الذي يشعله انعدام الإيمان أو انحساره في مختلف مجالات الفعل اليومي للإنسان المعاصر، ومن النّار الكامنة لليأس من الرّسالة الإنسانيّة للعقل الذي تربع على عرش العالم وأخذ على عاتقه مسؤوليّة توجيه أحداثه منذ القرن السادس عشر، ومن رماد العياء الكبير الذي أصاب الذّات أمام التّقنية المفترسة. لذلك لا يبدو يسيرا أن تنبعث حياة داخليّة جديدة وفعاليّة روحيّة جديدة كعربون لمستقبل بعيد يكون في حجم انتظارات الإنسان. لكن اليقين من وجود الحيّ الذي لا يشمله الموت يترك أمام هذا العقل فتحة أمل لتحقيق انتظارات البشريّة منه. هذه الفتحة هي الرّوح.

اليقين من وجود الحيّ الذي لا يشمله الموت يترك أمام هذا العقل فتحة أمل لتحقيق انتظارات البشريّة منه. هذه الفتحة هي الرّوح.

بيد أن هذا المخرج الثّاني لن يكتب له التّحقق إلاّ بفضل بطولة العقل بوصفها سلاحا للتّحرر من النّزعة الطّبيعية التي كانت وراء مختلف تمظهرات أزمة الوجود الإنساني. وحتى يتمكّن الفكر من تجاوز هذه الأزمة التي أوقعته فيها النزعة الموضوعيّة، كان على الفكر أن يبلور الشّروط الضّرورية لإعادة بناء مفهوم الإنسانيّة لا بوصفها تحديدا جغرافيّا وإنّما بوصفها غائيّة تاريخيّة لأهداف عقلانيّة لا متناهية. لكن ذلك هو ذاته ما يشكّل قوام العالم الإنساني الذي يبقى عالما عقلانيّا في صميمه، عالما وجد نشأته في أفكار العقل. بيد أنّ شرط هذا الفهم هو أن ندرك أنّ الأزمة الرّاهنة كانت حلاّ سيئا لمشكلات الحياة المعاصرة. ذلك أن أزمة الوجود الإنساني التي نتحدث عنها اليوم بكثير من الحسرة والتي تشهد بها أعراض لا يحصيها العدّ لتدهور الحياة، لم تكن قدرا أعمى، ولا قضاء مستغلقا ومحتوما، بل إنّها تصبح مفهومة ومدركة على خلفيّة غائيّة التّاريخ التي يمكن كشفها عقليّا.

إنّ إحياء هذه الرّوح العقلانيّة ومن ثمّ منح الفكر وجاهةَ الكشف عن جذر العسر والموطن الذي تراكم فيه حتّى استحال إلى أزمة، يبقى أملا محفوفا بالعديد من الإكراهات التي تحول دون جعله واقعا. إنّ الإنسانيّة مدعوة إلى بذل جهود مضنية حتّى تتخطّى الوضع المأزوم الذي تمرّ به، وهي مجبرة على تقديم تضحيات في سبيل إحياء الرّوح العقلانيّة. لذلك ينبغي الحذر من تقاليد التّوصيف المدحي للعقل والدّعوة إلى السّؤال عن ماهيّة صلاحيّة العقلانيّة منذ أن ارتدّت إلى مثاليّة مجرّدة ومبتورة من جذورها الواقعيّة والحسّية. وهو سؤال يستهدف الفكر التّنويري للقرن الثّامن عشر صراحة. أي قرن العقل الغازي الذي يبدو من منظور نقدي سببا في انحطاط الكائن العاقل وسقوطه في عقلانيّة جافّة ومجفِّفة وعقيمة، ليس أبلغ في التّعبير عنها من وصف العقلانيّة الأداتيّة.

بيّن إذن أنّ تجذير نقد العقل التّنويري الذي كان موضوعا لاعتراضات كثيرة في القرن التّاسع عشر، إنّما هو تحذير من الضّياع في متاهات النّزعة الموضوعيّة واستنفاذ كلّ الطّاقة الفكريّة والماديّة في الاستجابة لشروطها ومطالبها. فلا يكفي أن ننقد النّزعة الصّورية بالكشف عن قصور العقل النّقدي في سعيه إلى تمثّل التّعالق بين المعقول والواقعي على نحو ما ذهب إليه الفكر الجدلي، بل يتعيّن الاعتراض على الموضوعيّة الطّبيعية وعلى كلّ موضوعيّة أخرى حتّى ولو تعلّق الأمر بالرّوح.

فقد كان عيب السّابقين كامنا في وضع الرّوح في الطّبيعة أو بجانبها بدل نقل الطّبيعة ذاتها إلى الدّائرة الرّوحية حتّى لا يبقى الأنا شيئا معزولا بمعيّة أشياء أخرى في عالم معطى سلفا، والحال أنّ الوجود في هذا العالم ليس مجرّد وجود بين الأشياء، بل هو أيضا وجود مع الآخرين وضدّهم. فليس أخطر على الذّات من العزلة والشّعور بالعياء في بناء عالم الحياة الضّروري للعيش بين الآخرين سواء بالتّفكير معهم أو ضدّهم.

تجذير نقد العقل التّنويري هو تحذير من الضّياع في متاهات النّزعة الموضوعيّة واستنفاذ كلّ الطّاقة الفكريّة والماديّة في الاستجابة لشروطها ومطالبها

وليس العياء عجزا عن الفعل بل هو ضرب من اليأس النّاتج عن الشّعور بانسداد الآفاق أمام التّضخم اللاّمحدود لعالم الأشياء مقابل الانحسار المخيف للانشغال بقضايا المعنى والعني والتّمعين. وحتّى لا تسقط الإنسانيّة في هذه السّلبية كان عليها أن تستبدل روح الشّيخوخة ووهنها بروح الشّباب وعنفوانه، فلا تقدم نفسها عجوزا راضية بقدر الموت، بل فتاة ثائرة ومقبلة على الحياة.

لكن هل يعني هذا الاستبدال أنّ العالم فضاء خاصّ بالأقوياء ولا مكان فيه للضّعفاء؟ وإذا كانت مفردات العجز والعياء والارتخاء ومشتقّاتها أدوات غير مناسبة لصياغة خطاب يستعيد المهمة الأصليّة التي كفّ عنها الفكر وفشل في محاولات استئنافها، فهل يبرّر ذلك ارتداد الموقف الفكري من الأزمة إلى موقف عاجز عن تمثل الحياة في عالم للجميع؟

يبدو للمتأمّل في التّحالف العلمي التّقني أنّه كلّما ازدادت العلوم الحديثة إغراقا في النّزعة الموضوعيّة وفي تعميم التّقنية، كلّما ازدادت بعدا عن عالم الحياة إلى الحدّ الذي تقترن معه السّمة الأساسية لأزمة العلوم الحديثة بنسيان متزايد للمظاهر النّسبية والذّاتية التي تمتلئ بها الحياة، بحيث يزداد العالم العلمي بعدا عن الإنسان ليغدو في النّهاية مجرّد بناءات معزولة عن الحياة أي مجرّد أفكار في ذاتها منفصلة تماما عن مسؤولية الإنسان. فهو لا يبدو تحالفا من أجل عالم الحياة بل ضده.

ولعل هذا ما يفسر ضرورة العود إلى سذاجة الحياة بوصفها وضعا أصليّا وأصيلا، يسبق كلّ صور الاصطناع وذاك هو المعنى الأعمق لبدء فكري ثوري. ويشكّل هذا العود السّبيل الوحيدة والممكنة للتّغلب على السّذاجة الكامنة في علميّة الفكر ذي النّزعة الموضوعيّة، لكن من خلال تأمّل يعلو فوق سطح هذه الأرض. فلا سبيل لإحلال الذّاتية محلّ النّزعة الموضوعيّة بدون المرور من عالم الحياة الذي يبقى الأصل الأول والمبدأ الذي لا محيد عنه.

بيد أن ردّ الاعتبار لعالم الحياة لا يعني هنا الإغراق في الموقف الطّبيعي، لأنّ ذلك من شأنه أن يردّنا مرّة أخرى إلى النّزعة الطّبيعية التي أردنا القطع معها. وإذا كانت هناك ضرورات تفرض الانطلاق من عالم الحياة، فلأنّ الهدف يظلّ هو بلوغ هذه الذّاتية.

كاريكاتير

مصطلح «السرقة»

في جميع أنحاء العالم
نسمّي «السرقة».... «سرقة»

إلاّ في بلادنا.... نسمّيها...

«تدبير رأس»
و«خفّة يدين»!!!

د. أنيس الرزقي
«أستاذ بجامعة قرطاج - تونس»
anis.rezguii@gmail

حين تكفّ الأرض عن الدّوران

أكرمني ربّي منذ عقد من الزّمن تقريبا بالإقامة والعمل بمدينة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وكنت طوال فترة إقامتي بالمدينة المنوّرة، كثيرَ التّردد على مكّة المكرّمة لتأدية مناسك العمرة، وبرغم إلتزامي بتلك المناسك سمعا وطاعة لله وإتباعا لسنّة نبيه محمد صلّى الله عليه وسلم، كنت أحاول في كلّ مرّة بعد آدائها أن أتفكّر فيها ليس من باب التّرف ولكن رجاءً من الله لعلّه يفتح عليّ من علمه، فيريني شيئا من وجاهة تلك المناسك، اقتداء بعمر رضي الله عنه الذي خاطب الحجر الأسود قائلا: «والله إنّي لأقبلك، وإنّي أعلم أنّك حجر، وأنّك لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم قبّلك ما قبّلتك».

في هذا السياق كنت دائم التّساؤل عن الحكمة من وراء الطّواف حول الكعبة والسّعي بين الصّفا والمروة لسبعة أشواط ؟

الطّواف عكس عقارب السّاعة:

لسائل أن يسأل لماذا اتّفق الجميع منذ زمن بعيد على أن تدور عقارب السّاعة من اليسار إلى اليمين؟. في الواقع يغلب على ظنّ الكثير من المؤرّخين أنّ السّبب يعود إلى أنّ أول ساعة تمّ استخدامها هي السّاعة الشّمسية وهي تدعى «المزولة»(Sundial) وقد استخدمت تقريبا منذ 1200 سنة قبل ميلاد المسيح من قبل علماء الفلك البابليين والمصريّين[1]. وباعتبار أنّ كلّا من مصر والعراق تقعان في النّصف الشّمالي من الكرة الأرضيّة، حيث تشرق الشّمس - في حال توجّهنا إلى الشّمال - من اليمين وبالتالي فإنّ ظلّ عمود «المزولة» يتحرّك عكسيّا من اليسار إلى اليمين وهكذا تمّ تثبيت هذا الدّوران على أنّه دوران عقارب السّاعة الرّسمي إلى اليوم «clockwise sense». وتجدر الإشارة إلى أنّه لو كانت أول ساعة شمسيّة في التّاريخ صُنعت في النّصف الجنوبي من الكرة الأرضيّة لكانت عقارب السّاعة تدور من اليمين إلى اليسار،علما أنّه توجد وإلى اليوم في بعض المتاحف في أستراليا ،على سبيل المثال[2]، ساعات شمسيّة معكوسة، تدور عقاربها من اليمين إلى اليسار «counterclockwise» كما يمكن أيضا اقتناء ساعات حديثة عادية معكوسة من الأسواق.

إذا عدنا إلى سؤالنا الأساسي حول حكمة الخالق سبحانه من الطّواف حول الكعبة عكس عقارب السّاعة، فإنّ تواجد مكة المكرّمة في النّصف الشّمالي من الكرة الأرضيّة يجعلنا ننظر إلى الطّواف حول الكعبة على أنّه دوران عكس الزّمن. وبالتّالي فإنّ سؤالنا حول سبب الطّواف عكس عقارب السّاعة بات أكثر مشروعيّة.

حين تكف الأرض عن الدّوران:

كأنّ الله يدعونا في طوافنا حول الكعبة في حركة عكس عقارب الساعة أي عكس الزمن، للوقوف مع ذواتنا ومعه في غفلة من الزّمن.

لا يخفى على أحد أنّ دوران الأرض حول نفسها وحول الشّمس هو الذي يجعل الزّمن يتعاقب ومن هنا يأتي المعنى الرّمزي للطّواف عكس الزّمن، إذ وكأنّ الله جلّ شأنه يدعونا للوقوف مع ذواتنا ومع الله في غفلة من الزّمن. والحال أنّ المطلوب خلال الطّواف هو الدّعاء حيث أنّ الدعاء يمكن إعتباره شكلا من أشكال الحوار المفتوح مع الخالق يريده الله لنا أن يكون خارج الإطار الزّماني. ويأتي هذا في تناغم مع باقي طقوس العمرة من ترك الملابس والإلتزام بالإحرام الذي جعله الله خاليا من أيّ إشارة إجتماعيّة أو ثقافيّة في إطار التّجرّد أكثر من الذّات ومن الثّقافة.

فكأنّ الله سبحانه وتعالى يدعونا من خلال ذلك الطواف أن نخفض من سرعة الحياة ومن نسقها المرهق بجعلنا ندور عكس عقارب الساعة أي عكس الزّمن وذلك كي نتمهّل من أجل أن نتأمّل أكثر ونتساءل أكثر ونحن في بيت الله وبين يديه سبحانه. إنّ حتمية الزّمن وأثره في الإنسان هي من المسائل التي أعجزالله بها الإنسان، إذ لا يمكن تحدّي الزّمن أو إيقافه أو تأخيره أو العودة به إلى الوراء. فمنذ تمكّن الإنسان من العلوم والتكنولوجيا وهذا الحلم المستحيل يراوده، وأنظر إلى الكمّ الهائل من الرّوايات والأفلام الهوليودية التي تحاكي تمكّن الإنسان من التّحكم في الزّمن أو السّفر فيه.

إن من أعظم صفات الجنّة التي وعد الله بها عباده الصّالحين الخلود أي عدم الخضوع إلى الزّمن حتّى أنّ الشّيطان قد «خدع» سيدنا آدم حين وعده بالخلود، فقد قال الله تعالى «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ» [3]

يمرّ الزّمن ولا سبيل إلى إيقافه، ويمرّ معه العمر وتنهار قوّتنا شيئا فشيئا ونضطرّ إلى التّخفيف من نسق حياتنا وسرعتها ومراجعة لائحة أولويّاتنا مرارا وتكرارا حتّى نقلّصها إلى الحدود الدّنيا الممكنة. سرعان ما يدرك العقلاء منّا أنّ في التّأني حكمة ومتعة، فمع التّخفيف في نسق الحياة والتّركيز على الأهمّ تتّضح لنا الصّورة أكثر ونبدأ بالتّأمل أكثر في حكمة الله وعظيم خلقه وهذا هو الأهم على الإطلاق.

لا يكفّ الزّمن على المضي بنا إلى الأمام حتّى يوصلنا إلى نقطة السّرعة صفر، نقطة التّوازن كما يحلو للفيزيائيّين تسميتها "Equilibrium State"، حينها تكفّ الأرض عن الدّوران وتكفّ معها عقارب السّاعة عن الدّوران وحينها بالضّبط تُفتح بصائرنا ونتأمل الأشياء من حولنا في صمت مطلق من دون أيّ تشويش،

فندرك حينها ما لم نكن ندركه طيلة حياتنا ويتّضح لنا كلّ شيء! وهنا يأتي قول الله تعالى « لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» [4]. حينها يصبح الموت نعمة. نعم، نعمة كشف الحقيقة المطلقة ونعمة التخلّص من الجسد المنهك وكل المعوقات التي تحول دون التأمّل والتبصّر في خلق الله!

قول في السعي:

تعود سنّة السّعي بين الصّفا والمروة إلى زمن النّبي إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، حيث كانت سيدتنا هاجر هي أول من سعت بين الصّفا والمروة، عندما تركها سيدنا إبراهيم في مكّة، بواد غير ذي زرع ولا ماء، فكانت تسعى بين هضبتي الصّفا والمروة تلتمس الماء لابنها الرضيع النّبي إسماعيل، فكانت تصعد الصّفا ثم تنزل وتسعى حتّى المروة، وتجدر الإشارة إلى أنّ المسافة التي تفصل بين الهضبتين هي تقريبا 400 مترا وقد كرّرت ذلك سبعة أشواط، حتّى وجدت الماء عند موضع زمزم، فشربت وأرضعت ولدها. وعملا بقول الله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» [5] أصبح السّعي بين الصّفا والمروة من مناسك الحجّ والعمرة . ومن دون الدّخول في تفاصيل وجوب السّعي من عدمه في العمرة والحج نودّ الوقوف عند هذه الشّعيرة العظيمة والتّفكر في السّؤال الذي ذكرناه في مقدّمة حديثنا: «لماذا عظّم وخلد الله هذه الحادثة؟»

إنّ كل من زار مكّة يلاحظ من دون عناء أنّ جغرافيا المكان قاسية وموحشة وأنّ الطّقس فيها شديد الحرارة معظم أيام السّنة وهي مكان لولا أنّ الله سبحانه وتعالى قدّسه لكان ربّما خاليا من السّكان ولكنّه اليوم وبفضل الله وحكمته لا يخلو من الحجّاج على مدار السّاعة طوال كامل السّنة ! ربّما جعل الله مكّة صحراويّة وموحشة حتّى لا يأتي الحجّاج للأستجمام والإستمتاع بجمال المكان، إذ يريدنا الله أن نترك الدّنيا وراءنا عندما نهب لزيارة بيته. يأتي هذا في إطار أشمل وأعم ألا وهو العمل والإجتهاد طوال الحياة حتّى الوصول إلى سبيل الله والمقصود هنا بالعمل ليس فقط التّعبد الطّقوسي وإنّما كلّ عمل مفيد للشّخص نفسه ولمحيطه. ويمكننا الإستدلال على هذا المعنى بالآية الكريمة: «يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنكَ كَادِحٌ إِلى ربكَ كدحًا فملاقيهْ»[6] . والدّعوة للكدح في الآية تشمل العمل المادّي الصّالح كما تشمل العمل المعنوي والنّفسي، بمعنى أنّ كلّ إنسان، مهما كان مستواه الأكاديمي، هو مدعو إلى فهم ذاته والتّعرف عليها أكثر فأكثر خلال مسيرة حياته. ويعتبر التّعرف على الذّات أحد أهمّ السّبل للمضيّ قدما في مسيرة التّعرف على الخالق الأعظم وهو الهدف الأهمّ في حياة الإنسان المؤمن. من هنا نأتي إلى مسألة إدراك الخالق والتّيقن من وجوده عز وجلّ. ولا يخفى على أحد أنّ هذا الإدراك يتفاوت من شخص إلى آخر وقد يكون الوصول بالنفس إلى أعلى درجاد اليقين بوجود الخالق أهمّ المقاصد الإيمانية. وكلّما إزداد الإنسان يقينا، كلّما كان أقرب إلى الله وكلّما إنشرح صدره أكثر وازداد

السّعي بين الصفا والمروة أثناء الحجّ أو العمرة أحد السّبل لتدعيم اليقين بأن الله قادر على كلّ شيء مهما بدا لنا مستحيلا بحسابات الدّنيا.

طمأنينة وسكينة.

لقد كانت ولازالت مسألة التّدرج في السّلم المعرفي من الإدراك إلى الشّكّ إلى المعرفة إلى اليقين مسألة مهمّة بالنّسبة للفلاسفة عموما والمختصّين في علوم التّربية على وجه الخصوص. فقد قال روسو «Rousseau»:

«Conscience! Conscience ! Instinct divin, immortelle et céleste voix ; guide assuré d›un être ignorant et borné mais intelligent et libre; juge infaillible du bien et du mal, qui rends l›homme semblable à Dieu.» [7].

وفي ربطه بين الإدراك والوجود قال ديكارت «Descartes» :

«Je suis, j›existe, est nécessairement vraie, toutes les fois que je la prononce ou que je la conçois en mon esprit. » [8].

ونأتي هنا إلى ما نعتقد أنّه إجابة على سؤالنا الثّاني حول سبب تخليد الله عزّ وجل سنّة السّعي بين الصّفا والمروة. ففي الواقع يغلب على ظنّنا أنّ سيدتنا «هاجر» قد تكون أكثر مخلوق أدرك يقينا وجود الخالق وقدرته اللاّمحدودة، سبحانه وتعالى عمّا يصفون، على وجه الأرض وعبر التّاريخ. لقد أدركت سيدتنا «هاجر» ومن دون أدنى شكّ اليقين بأنّ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزقها الماء لها ولإبنها إسماعيل بالرّغم من تواجدها في إطار مكاني «يستحيل» على غير الموقن بالله التّصديق بأنّ فيه ماء!. ولهذا السّبب أعزّ الله ذكرى سيدتنا «هاجر» بالخلود لكي يذكّرنا نحن باقي البشر بأنّه قادر مقتدر على كلّ شيء مهما بدا لنا مستحيلا بحسابات الدّنيا. وهذه الدّرجة من اليقين مطلوب من أيّ مؤمن السّعي لإدراكها وهكذا يكون السّعي بين الصفا والمروة أثناء الحجّ أو العمرة أحد السّبل لتدعيم اليقين بالله سبحانه.

المراجع:

[1] Aaboe, Asger. «The culture of Babylonia: Babylonian mathematics, astrology, and astronomy.» The Assyrian and Babylonian Empires and other States of the Near East, from the Eighth to the Sixth Centuries B.C. Cambridge University Press, (1991).

[2] http://www.compassmuseum.com/sundials/sundials.htm :

[3] سورة طه - الآية 120 .

[4] سورة قاف - الآية 22

[5] سورة البقرة - الآية 158

[6] سورة الإنشقاق - الآية 6

[7] Jean-Jacques Rousseau: Emile ou de l’éducation. 1762 :.

[8] René Descartes : Méditations Métaphysiques. 1647 -Traduction Françaises du Latin :.

نجم الدين غربال
«رئيس مركز الدراسات التنموية»
najmghorbel@gmail.com

في مُواجهة الفقر (1)

مقدّمة

رغم الجهود المبذولة لمُواجهة الفقر على الصّعيد الدّولي والمحلّي، تظلّ النّتائج محدودة إذ أنّها لم تقدر على إخراج فئات عريضة من المُجتمعات البشرية من الفقر بأبعاده المختلفة الماديّة منها والبشريّة، إذ لايزال 1.2 بليون شخص في العالم يعيشون في فقر مدقع وواحد من كلّ خمسة أشخاص في المناطق النّامية يعيش على أقل من 1.25 دولار يوميا أغلبهم من جنوب آسيا وافريقيا وجنوب الصّحراء الكبرى ويُعاني واحد من كلّ أربعة أطفال دون الخامسة من العمر في العالم من قصر القامة مُقارنة بعمره. كما وقع تسجيل، خلال عام 2013، رحيل 32000 شخص عن منازلهم يوميّا بحثا عن الأمن وطلبا للحماية من جرّاء النّزاعات في كثير من بُلدان العالم.[1]

ولم تقدر الجهود الدّولية على الحيلولة دون أن تتوارث الأجيال القادمة آفة الفقر خاصّة حين يستهدف النّشاط الاقتصادي الدّولي البيئة والأثر السّلبي لذلك على الطّبيعة وعلى القطاع الزّراعي الذي يعتبر مورد الرّزق لمعظم فقراء العالم.

كما أثبتت الأحداث التي تفتك بمنطقة الخليج والشّرق الأوسط وبعضٍ من منطقة المغرب العربي عدم قدرة تلك الجهود الدّولية التي يُقابلها صراع على النّفوذ بين محاور، على منع اتساع دائرة الفقر.

ولقد اتبعت البشرية مناهج عديدة للقضاء على الفقر من نهج الرّفاه الى نهج الاحتياجات الأساسيّة مرورا بنهج الموارد البشريّة ووصولا الى نهج التّنمية البشرية، إلاّ أنّ جميعها، وإن استطاعت الحدّ منه نسبيا، لم تقدر على استئصاله أو رفع التّحديّات الثّلاثة سابقة الذّكر.

وتَعُود اسباب محدودية أثر تلك المناهج الى المقاربة التّقليدية التي انبثقت عنها جلّها والتي تنظر من خلالها للفقر وإلى السّياسات التي تمّ إتباعها والآليات التي وقع استعمالها للحدّ منه.

فعلى مستوى المفهوم، نُظِرَ للفقر على أنّه «فقر الدّخل» وعلى مستوى السّياسات، تمّ الاعتقاد في النّمو الاقتصادي بمفرده كمخلّص وحيد من آفة الفقر، أمّا الآليّات فقد تمّ استعمال الإعانات والتّمويل الأصغر الذي لم يسلم هو الآخر من آفة الفقر حين افتقر لتدفّق الأموال نظرا للنّظرة الى المال التي اتبعها حيث اعتبرته

سلعة تُباعُ وتُشترى ولجعل الاقتصاد خادما له بدل أن يكون هو في خدمته.

وبعد أن حصل تطوّر على مُستوى النّظرة الى الفقر وعلى مستوى الوعي بحاجات الفقير، وبعد أن تمّت ملاحظة محدوديّة الاعتماد على النّمو الاقتصادي بمفرده على مواجهة الفقر فضلا عن العوائق الجمّة التي اعترضت آلية التّمويل الأصغر لتحقيق أهدافه في دمج الفقراء ماليّا، اهتدت البشريّة الى منهج التّمكين الاقتصادي علّها تقدر به على مقاومة الفقر الذي لم يخل منه عصر من العصور أو منطقة من العالم.

اتبعت البشرية مناهج عديدة للقضاء على الفقر، إلاّ أنّ جميعها، وإن استطاعت الحدّ منه نسبيّا، لم تقدر على استئصاله نتيجة المقاربات التقليديّة للفقر.

فعلى مُستوى النّظرة الى الفقر، حصل تطور من اعتباره فقرا في الدّخل الى اعتباره حرمانا من القُدُرات الأساسية كما رآه الفيلسوف والاقتصادي الهندي أمارتيا صن حين قال «يُمكن اعتبار الفقر حرمانا من القدرات الأساسية وليس مجرد تدنّ في الدّخل, وهو المعيار السائد لتحديد الفقر»[2]

وعلى مستوى الوعي بحاجات الفقير حصل وعي بتعدُّدِ حاجات الفقير بحيث أصبح يُنظر إليه على أنّه ليس مقصيّا فقط من التّمويل بل أنّه مقصي كذلك من الفرص الاقتصاديّة ومن الولوج الى نوادي رجال الأعمال ومن التّمتع بخدمات البنى التّحتيّة الضّروريّة.

أما دور النّمو الاقتصادي في الحدّ من الفقر، فقد اعتبر البنك الدّولي في تقريره لعام 2016 «أنّ النّمو الاقتصادي الذي يدفع الى الحدّ من الفقر المدقع مازال مخيّبا للآمال، والمخاطر الضّخمة لتراجع الاقتصاد العالمي قائمة، كضعف الطّلب وتقييد الأسواق الماليّة وتراجع النّشاط التّجاري وأسعار النّفط المنخفضة وغيره من السّلع الأوّلية وتقلّب تدفّقات رؤوس الأموال، كما يواجه العالم أيضا تهديدات حرجة معقّدة للرّخاء على المدى البعيد، بما في ذلك الصّراعات وأوضاع الهشاشة المحلّية التي شرّدت ملايين البشر قسرا، وتفشّي الأوبئة وغيرها من المخاطر الصّحيّة في مختلف المناطق، وتأثيرات تغير المناخ التي قد تعرض الأمن الغذائي في كثير من البلدان لصدمات الأحوال الجويّة الشّديدة وتوقّف الإمدادات، وستلحق جميع هذه المخاطر أكبر الأضرار بالفقراء والضّعفاء»[3]

وقد ذكر ذات التّقرير ما يؤكّد ما ذهب اليه من أنّ النّمو الاقتصادي الذي يدفع الى الحدّ من الفقر المدقع مازال مخيّبا للآمال حين قابل نسب النّمو الاقتصادي في مناطق العالم المختلفة سواء في إفريقيا والشرق الأوسط أو آسيا وأوروبا وأمريكا بنسب الفقر وذلك بالاعتماد على معطيات دقيقة وتقييمات خاصّة حول الأوضاع، وفيما يلي جدول يعكس بعض من هذه المقابلة يشفع باستنتاج.

المنطقة	معدلات النمو (%)			معدلات الفقر (%)	
	2014	2015	2016	السنة	المعدل/المقياس
افريقيا	4.5	3	2.5	2012	42.7 (1.9د/ي)
شرق آسيا والمحيط الهادي	6.8	6.5		1981	80
				2012	7.2
اوروبا وآسيا الوسطى	0.1	1.1			14
امريكا اللاتينية والبحر الكاريبي المكسيك	0.7-	1.3-		2003	24.5
				2013	11
				2014	39
الشرق الاوسط وشمال افريقيا			2.9/ تونس 1.8		53 (4 د/ي اواقل)
جنوب آسيا	6.8	7	7.1	2012	18.8

المصدر: تقرير البنك الدولي 2016

رأينا إذا كيف أنّ الانشغال بالثّراء المادّي والاعتماد على نهج محوره الاقتصاد واتّخاذ زيادة الدّخل كهدف والنّمو الاقتصادي كمقياس لم تفلح في الحدّ من الفقر والتّفاوت داخل المجتمع الواحد اذ اعتبر النّمو الاقتصادي مخيّبا للآمال في مجال الحدّ من الفقر.

وتفاعلا مع هذه النّتيجة اتجهت المجموعة الدّولية الى البحث عن آليّات أخرى في تعاطيها مع ظاهرة الفقر تكون أكثر نجاعة للحدّ منها وذلك من خلال وضع سياسات وطنيّة ضمن استراتيجيّة من أربعة محاور:

1) الوصول الى الفقراء بسياسات تعميم التنمية بما يُصحّح التّفاوت في التّنمية حتّى يستفيد الفقراء من ثمارها.
2) اتخاذ تدابير لفائدة المجموعات ذات الاحتياجات الخاصّة.
3) تمكين الفقراء.
4) تحصين منعة التّنمية البشرية.

ولقد اصطلح على تسمية هذه الاستراتيجيّة وهذا النهج الجديد بـ «التمكين الاقتصادي» فما هو هذا النّهج وهل له من المُقومات ما يسمح له بالاستمرار وبتحقيق أهدافه في دمج الفقراء اقتصاديّا واجتماعيّا أم أنّ هذا النّهج سيظلّ كسابقيه أسير مقاربة تفتقر للأصل الثّابت لتحرم البشريّة في مرحلة أخرى من الزّمن من المنهج الذي يخرجها من شقاء الحرمان الى سعادة العطاء؟ أسئلة حارقة سنحاول الإجابة عنها في هذا المقال على جزءين لأنّنا نرى أنّ هذا الموضوع ما لم يصبح ذا أولويّة قصوى وما لم يحظ باهتمام العلماء والخبراء والباحثين وصناع القرار في بلادنا، فإنّ قطار التّنمية سيظلّ متعطّلا فيها.

التّمكين الاقتصادي منهج لمُواجهة الفقر إذ يجعل للفقير موقعا راسخا في المجال الاقتصادي بهدف دمجه اقتصاديا واجتماعيّا.

التّمكين الاقتصادي: مقاربة منقوصة

يعتبر التّمكين الاقتصادي منهجا لمُواجهة الفقر إذ يجعل للفقير موقعا راسخا في المجال الاقتصادي بهدف دمجه اقتصاديا واجتماعيّا وذلك عبر تقوية قُدرات التّصرف لديه وولُوجه الى الفُرص الاقتصاديّة من استثمار وعمل وتوزيع من جهة والى شبكات رجال الأعمال والبُنى التّحتية الضّرورية والتّمويل من جهة أخرى.

ولتجسيد التّمكين الاقتصادي للفُقراء لابدّ من بيئة تمكينيّة فكريّة وتشريعيّة وسياسات تنفيذيّة وقنوات تجعل الفقير قادرا على ولوج الفرص الاقتصادية والبنى التحتية الضرورية والتّمويل كمؤسّسات التّمكين الاقتصادي.

وإن كان هدف التّمكين قاسما مشتركا لكلّ من يحترم الذّات الاجتماعيّة للإنسان إلاّ أنّ ما يستحقّ النّظر والوقوف عنده هو عدم اختلاف هذا النّهج عن سابقيه رغم قوله بمحورية الإنسان وذلك من حيث افتقاره لأرضيّة فكريّة ذات أصول ثابتة تُعطي معنى للوُجود وتجعل الإنسان بالفعل محورا للنّشاط الاقتصادي. فمحوريّة الإنسان كنوع لا تستقيم في مناخ من التّمييز تغيب فيه المساواة ولا معنى لها في ظلّ علاقات سُلطوية غير عادلة ومنظومة فساد لاتزال شبحا يقُضّ مضجع الأمن والسّلام في البلاد. إن عناوين التّمكين من قدرة على التّصرف وحرّية ومشاركة في هكذا مناخ لا معنى لها.

فالمُساواة لا معنى لها حين يحتاج الإنسان الى إنسان آخر أو حين يعتقد الإنسان في أنّ حاجته لا يقضيها إلاّ إنسان آخر، بل يتأكّد معناها حين يشعر الإنسان أنّه يتساوى مع غيره أمام قاضٍ وحيد للحاجات(الصّمد) يفتقر الجميع له، وهذا المعنى لا وجود له في مقاربة «التّمكين» المُروّج لها ولذلك سيظلّ التّمييز واللاّمساواة معيقين لهذا «التمكين» وتبعا لهما سيظلّ الفقرُ والحرمان ما دام اعتقادٌ في الفقر الى النّوع البشري. ويتأكد ذلك حين نستحضر حبّ الإنسان الشديد للخير لنفسه ولأقربائه أوّلا بأول وما ألهمت نفسه من فجور.

لذلك تُصبِحُ الحاجة متأكّدة للإيمان بـ «الصّمد» أي قاضي الحاجات لجميع النّاس وبالافتقار إليه من طرف النّاس أجمعين، لتتوفّر ضمانة إقرار المساواة وعدم التّمييز بين أفراد النّوع البشري وذلك درْءًا لعلاقات سُلطوية مُوَلِّدة للفقر.

إنّ النّظرة للفقير في نهج «التّمكين الاقتصادي» خارج التّصور الإسلامي وإن تطوّرت من اعتباره كُلفة ومُستهلكا للقيمة المضافة الى منتِج لها، فإنّ كلّ ما تؤديه هو خلق بيئة تسمح لهذا الفقير بولوج السّوق دون أن تلج الى جوهر التّمكين. فجوهر التمكين هو مسار تحوّل اجتماعي ينتج عنه تحويل علاقات السّلطة بما يضمن لكلّ فرد الحفاظ على كرامته وتحقيق ذاته الإنسانيّة والاجتماعية من خلال مساواة حقيقية وعدم تمييز وهذا ما

إنّ كلّ ما يؤديه نهج «التّمكين الاقتصادي» خارج التّصور الإسلامي للفقير هو خلق بيئة تسمح لهذا الفقير بولوج السّوق دون أن تلج الى جوهر التّمكين.

يضمنه التّصور الإسلامي الذي يشعر فيه الجميع بالمساواة في الفقر الى الله «الصّمد» ويؤمن بالتّقوى التي الهمه الله إيّاها وما تعنيه من إيمان بكرامة الإنسان وبالأخوّة والتّشاور والتّعاون على الخير بين جميع النّاس وبإتقان للعمل وإعمار الأرض.

إنّ علاقة الإنسان بالإنسان، إذا هي علاقة أخوّة وتعاون وتشاور، لا ينظر أحد من خلالها الى الآخر على أنّه قاض لحاجته أو فقير له بل الكلّ يعتقد في الفقر الى الله انسجاما مع الآية القرآنية «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » [4] ويعتقد كذلك أنّ الفقر وعد «الشّيطان» له لذلك هو يتخذه عدوا في انسجام أيضا مع التّوجيه الإلهي «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ» [5] وأمْرُهُ المُقِرُّ بعداوته للإنسان والقاضي باتخاذه عدوّا «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» [6]

كما يعتقد الجميع في أن الفضل وعد الله لهم انسجاما مع الآية القرآنيّة «اللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [7] لذلك وجب علينا تلمّس الطّريقة التي وضعها لنا الله حتّى نقي أنفسنا الفقر ونستقيم عليها. ألم يعدنا «وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا» [8] فما هي مرتكزات هذه الطريقة وما هي أهم ملامحها؟

ذلك هو السّؤال الذي سنحاول معالجته في العدد القادم عبر تحديد مفهوم التّمكين الاقتصادي من منظور إسلامي ومعرفة عناوينه والوقوف عند شروطه بالإضافة إلى تحديد من هو المُمَكِّن من خلال النظر في آيات الذّكر الحكيم.

الهوامش:

(1) موقع الامم المتحدة: http://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/povert.

(2) «التنمية حرية» منشورات اكسفورد الجامعية – نيودلهي 2000 /ص113 ماي 2004 الكويت ترجمة شوقي جلال.

(3) تقرير البنك الدولي لعام 2016 / ص11

(4) سورة فاطر - الآية 15

(5) سورة البقرة - الآية 268

(6) سورة فاطر - الآية 6

(7) سورة البقرة - الآية 268

(8) سورة الجنّ - الآية 16

سالم المساهلي
«شاعر وأديب»
salemsehli@yahoo.fr

شهيد فلسطين

طار الشّهيـــد .. مجلّلا ببهائـــــه
مَلَكا يرفرف .. واثقا بولائـــــه

عرفَ الطّريقَ إلى الفِـداء فخطّـــهُ
حُبّا يفِيضُ .. بروحِهِ ودِمائِـــــهِ

يمضِي الرّجالُ أعزّة في عرشهـــم
والفخرُ يغمُرهم .. بوهج إبائِـــــه

يا تونس الخضراء .. شبلك عاشِـــقٌ
والقدسُ قِبلتُهُ .. وعِطرُ فضائِـــــهِ

حُرّ .. رأى الصّمتَ الكئيبَ مذلّـــةً
والبوح بالأشواقِ .. سرّ شِفائِـــــهِ

ذلّ الّذين .. تربّصوا بوجـــــوده
حسبوا اقتناص الجسم مكمن دائه

فإذا بروحـــه .. غيمة نوريّـــة
تحيي النّفوس .. فتهتدي لسمائـــه

وإذا البـــلاد .. جيوش ثأر واثـــق
تدعو له .. وتسير تحت لوائـــــه.

الهادي بريك
«باحث وكاتب - ألمانيا»
brikhedi@yahoo.de

قصّة يوسف عليه السّلام (6)
يوسف يكشف عن هويّته

الآن يدخل عليه إخوته للمرّة الثّالثة قادمين من فلسطين يقاومون السّنوات العجاف. دخلوا عليه لأوّل مرّة وهو فوق عرش الحكم فإشترط عليهم الإتيان بأخ لهم من أبيهم حتّى يستلموا بضاعة جديدة. ثم دخلوا عليه للمرّة الثّانية ومعهم أخوهم ـ وهو أخوه الشقيق الذي إستبقاه يعقوب لنفسه خوفا عليه أن يغيّب عنه بمثل ما غيّب يوسف عنه ـ وتحيّل يوسف هذه المرّة على إخوته ليستبقي أخاه المتّهم بالسّرقة. ثم يدخلون عليه الآن للمرّة الثّالثة وهم في حالة إنكسار وذلّة. دعنا من هذا الآن ولنعد إلى بعض الأحداث السّالفة. لماذا تحيّل يوسف على أخيه الشّقيق بالذّات فاتّهمه بالسّرقة؟ كان يمكن له أن يستبقي أي واحد منهم. لا. عنوان الخطّة التي رسمها يوسف يأبى ذلك إذ هو يريد أن « يفجع» أباه في أخيه الآخر الشقيق فيستبقيه عنده بدعوى أنّه سارق وبذا يضمن يوسف لوعة من أبيه الفجيع تسوقه إلى أرض مصر سوقا حادبا لا رجعة فيه ولو أخذ مكانه أيّ واحد منهم لما كانت الخطّة لتنال نجاحها المطلوب.

هي معركة الذّكاء والحيل والمراودات في هذه القصّة العجيبة. كما وشت لنا القصّة في هذا الطّور منها أن إخوة يوسف أنفسهم ليسوا على درجة واحدة من الخبث إذ أنّ كبيرهم إستعظم أن يفيئ إلى أبيه فارغ الوطاب من أخيه الذي استؤمنوا عليه : فلمّا آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل.

وبعد فشل المفاوضات مع يوسف أن يأخذ أيّ واحد منهم رهينة عدا هذا الولد الذي له أب شيخ كبير أعلن كبيرهم رباطه في الأرض هناك حتّى يحكم الله له أو يأذن له أبوه بفيئة. قوله : وما شهدنا إلاّ بما علّمنا توحي إليّ أن كبيرهم هذا ـ ربّما هو كبيرهم ذكاء إذ القصّة معركة ذكاء وتحيّل ـ ليس مطمئنا إلى مسرحيّة السّرقة ولكن ليس له أيّ دليل يدفعه إلى إعادة البحث أو التّحقيق. ويفجع يعقوب الوالد الشّيخ الكبير للمرّة الثّانية في أحد إبنائه ولكن أمله غير المحدود في الرّب الواحد المعبود يجعله والغا في الثّقة قائلا : «عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا». ثمّ عمي لشدّة الكرب الذي يلقاه. لك أن تتصوّر معي الآن والدا شيخا كبيرا هرما يفجع في إبنه الأول وإذا ما أرسل للبحث عنه يفجع في الثّاني منهم بل في كبيرهم الذي فرض على نفسه الإقامة الجبريّة أو السّجن الإختياري. لك أن تتصوّر المشهد إذا كنت والدا فإذا لم تكن فادّخر ذلك حتّى تكونه. أدعك مع تفاصيل القصّة المثبتة في السّورة

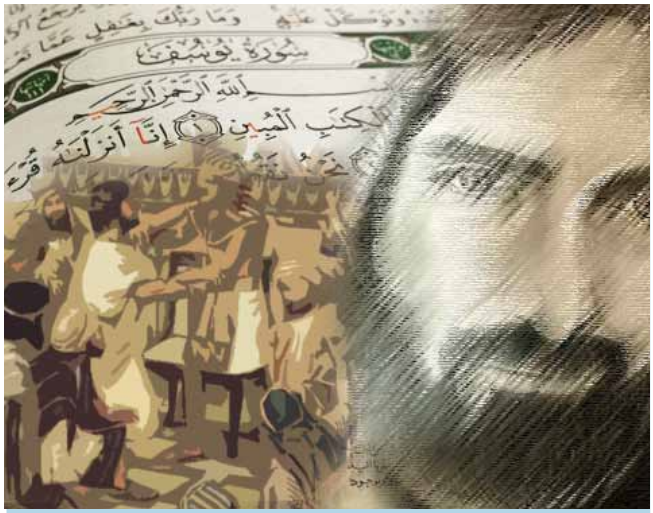

العبرة الأولى :
لا تنظر إلى النّاس بالجملة بل بالتّفصيل

يعلّمنا القرآن الكريم دوما خلق الموضوعيّة الذي يسمّيه العدل وهو خلق الإنصاف وذلك عندما يستخدم مرّات كثيرات أدوات التّبعيض من مثل : من النّاس ومن أهل الكتاب إلخ... أي أنّه يدعونا إلى عدم حشر النّاس كلّهم مهما كان دينهم في سلّة واحدة ليحكم عليهم بالطيب جملة أو بالخبث جملة.

يعلّمنا القرآن الكريم دوما خلق الموضوعيّة الذي يسمّيه العدل وهو خلق الإنصاف إذ يدعونا إلى عدم حشر النّاس كلّهم مهما كان دينهم في سلّة واحدة ليحكم عليهم بالطيب جملة أو بالخبث جملة.

هذا كبير الإخوة الذي لم نسمع له ركزا عندما كان يوسف على وشك القتل أو الرّمي به في جبّ ولكنّه الآن يتّخذ الموقف النّبيل إذ يحتجّ على إخوته تفريطهم في أخيهم المتّهم بالسّرقة ويبدأ بنفسه فيفرض عليها الإبعاد الإختياري.

عندما ننظر إلى إخوة يوسف في بداية القصّة لا ينقدح في ذهن أي واحد منّا أنّه يمكن أن يكون منهم الرّجل الشّهم الكريم ولكن عندما تدور الأيام وتنضج الأحلام والنهى نكتشف أنّ هذا ـ الكبير ـ يكتنز رصيدا من المروءة يبرز هنا في هذا المشهد. ذلك هو الإنسان قد يجبن هنا ويقدم هناك وقد يبخل هنا ويندى هناك. أولئك هم النّاس يخطئ من يحكم لهم أو عليهم بجرّة قلم مجتمعين لا يميّز بينهم كما يخطئ من يحكم لهم أو عليهم في محطة زمن واحدة ولو آخذنا الله بزلة واحدة لمّا نجا منّا أحد ولكنّه يعالجنا بالنّتيجة النّهائية من بعد عمل حسابي تتدافع فيه الحسنات والسّيئات. وبمثل ذلك يحسن بنا أن نعالج النّاس ومن ذا الذي تصفو مشاربه؟.

العبرة الثانية :
رأس مال الحياة أمل في اللّه لا يعرف القنوط

ألا تشده معي لموقف يعقوب الذي لا تزيده المحن المتلاحقة إلاّ يقينا في ربّه سبحانه؟ يفقد الوالد ابنه الأول يوسف فيكون قوله : «فصبر جميل والله المستعان على تصفون». ثم يفقد إبنيه الآخرين معا في رحلة واحدة. الإبن الذي كان شرطا في التّزود بالميرة والإبن الأكبر الذي آثر الغياب على فضيحة إخلاف العهد مع أبيه. ومع الفقد الجديد لا يزيد يعقوب على قوله : «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ». الصّبر الجميل فقرة ثابتة وغذاء راسخ قار لا يفارق الفؤاد.

والدٌ شيخ كبير يصاب بالعمى لما يلقى من ألم الفراق ولا زال يخاطب بنيه الذين فرّطوا في يوسف وأخيه: يا بنيّ. بهذا النّداء الرّفيق الحبيب. ولذلك يكرمه ربه سبحانه ـ كما أكرم من قبل إمرأة العزيز في هذه القصّة

وبلقيس في قصّة سليمان ـ إذ إلتقط حكمة باهرة من حكمه فأثبتها قرآنا يتلى آناء اللّيل وأطراف النّهار : «لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ». هذه الحكمة سنّة مسنونة وهي قانون مقنّن وناموس منمس ولا ريب في أنّ الكتاب العزيز ـ وعلى غير عادتنا في تناوله ـ قاموس صحيح من قواميس السّنن الكونيّة والاجتماعيّة والعمرانيّة أي أنّه يرسم لنا طريق النّهضة وطريق النّكسة كما يرسم لنا طريق الإعتقاد والعبادة سواء بسواء ولكن تورمت منا هذه وضمرت فينا تلك فتأخّرنا. أجل. من يئس من روح الله فقد كفر ولذلك قال العلماء بحقّ كلمة حقّ : الشّرك بالله واليأس من الله صنوان لا يفترقان. ويقول العبد الفقير : لو علم الكافر ما علم المؤمن لآمن. وبذلك يكون طريق الدّعوة عنوانه : إفتح باب الأمل أمام النّاس يؤمنوا وأوصد أمامهم أبواب القنوط يسلموا. تلك هي فلسفة الدّعوة في كلمة واحدة

العبرة الثالثة :

يوسف مثال الإنسان الإيجابي في محيطه

لمّا اختلط به صاحبا السّجن إستأمناه على رؤياهما وقالا له : «إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ». ولمّا إنكشف أمر سيدته التي راودته عن نفسه فإستعصم شهدت له قائلة : «وإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ». ولمّا ذهب إليه رسول الملك يستفتيه في رؤياه قال له : «يوسف أيّها الصدّيق». واليوم عندما يدخل عليه إخوته للمرّة الثّالثة يقولون له :«يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ». أجمع كلّ من خالطه أنّه رجل شهم كريم فهو محسن مع السّجناء وصادق مع التي رامت مراودته وهو صدّيق في تأويل الأحلام لا يبغي منها جزاء ولا شكورا كما يكذب الدّجالون اليوم باسم الدّين وتأويل أحكامه وحكمه ليأكلوا أموال النّاس بالباطل لهثا وراء الرّهبان شبرا بشبر وذراعا بذراع. وهو عزيز مكين من بعد ما ظلّ لسنوات طويلات عجاف عبدا رقيقا يباع ويشترى بثمن بخس مزهودا فيه. تلك المروءة التي أحاطت بهذا الفتى من كلّ جانب ما كان ليبسطها ربّ العزّة عليه سبحانه لولا خلقه الدّمث مع الظّالم ومع المظلوم ومع المرأة ومع الرّجل ومع السّيد والرّقيق ومع القويّ والضّعيف ومع السّجين والحرّ. تلك هي ثمرة الإيجابيّة والتجرّد بالتّعبير المعاصر.

العبرة الرابعة :

يوسف في لحظة الفتح ويوم النصر

أنظر إلى لسان الذّلة والإنكسار : «مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا». هذا يحيلنا إلى درس سابق في حلقة سابقة عنوانه : «كما تدين تدان». هؤلاء المنكسرون اليوم كانوا بالأمس لا يرقبون في يوسف إلاّ ولاذمّة وهو أخوهم لا جريرة له عدا صغر سنّه وعلامات الذّكاء البادية

طريق الدّعوة عنوانه : إفتح باب الأمل أمام النّاس يؤمنوا وأوصد أمامهم أبواب القنوط يسلموا. تلك هي فلسفة الدّعوة في كلمة واحدة

عليه. طبيعي أن يمسّهم وأهلهم الضرّ لأنّهم فقدوا بعيرين كاملين ـ أي رحلهما بضاعة ـ في مرّة واحدة : بعير الأخ الذي إحتبسه يوسف أنّه سارق وبعير الأخ الأكبر الذي آثر التّشريد على الرّجوع إلى أبيه مفرطا في أخيه وناقضا لوعده معه. طلب الصّدقة ذلّة وأذلّ منها مقايضة بضاعة مزجاة بأخرى أزكى. صدق الصّادق المصدوق عليه الصّلاة والسّلام : «كما تدين تدان». آن أوان الكشف عن هويّته لإخوته. لحظة فتح مبين ويوم نصر ليوسف. وفي يوم الفتح ينتفخ المنتصر ويتراءى له أنّ الأرض لم تعد تتّسع لمن عداه. هذا يوم الملحمة كما قال أحد قوّاده عليه الصّلاة والسّلام في فتح مكّة. يصوبه عليه الصّلاة والسّلام ليقول له : «لا. بل هذا هو يوم المرحمة».

من مشكاة يوسف المترعة عفوا وصفحا وحلما ينهل محمد عليهما الصّلاة والسّلام جميعا ليقول يوم الفتح: إذهبوا فأنتم الطّلقاء. لم يزد يوسف في يوم النّصر على قوله : « لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ». لا يقنطهم من رحمة الرّحمان سبحانه وينسب الفضل له وحده : «قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا». اليوم يوم المرحمة وخطاب المرحمة عفو وصفح وحلم ورحمة وليس يوم إنتقام وأثرة وإنتفاخ أوداج. دعني أقل لك : هذا الدّرس هو درس واقعي عملي فإختبر نفسك فيه أمّا تحبيره بالقلم واللّجاج به لسانا فهو أيسر من اليسر

العبرة الخامسة :
حكمة أخرى على لسان يوسف

دعني أراجعك قولي أنّ هذا الكتاب هو كتاب قوانين النّهضة ونواميس النّكسة أي أنّه دليل حضاري للبشريّة وجواز سفر إلى مراقي التّقدم وليس هو كتاب إعتقاد وعبادة ومعاملة فحسب. عندما أدرك الأوّلون ذلك حلّقوا به عاليا وعندما جهل المتأخّرون ذلك سحقتهم جيوش الأعداء وهم يدعون ببلادة : «اللهم أهلك الظّالمين بالظّالمين وأخرجنا من بينهم سالمين». الحكمة التي إنبجست عنها شفاه يوسف هي : « إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ». قانون آخر يضاف إلى قوانين حوتها هذه القصّة وأخرى مبثوثة في هذا الكتاب.

الحقيقة أن عنوان قصّة يوسف هو : «إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» . لا يدعك الله في حيرة من أمرك تبحث عن سرّ القصّة بل يذيل بها السّورة لتكون هديّته إليك. إعتلى يوسف مقعد الإحسان من بعد ما تجرع ألم التّقوى وألم الصّبر معا. أجل. هما ألمان متكافلان

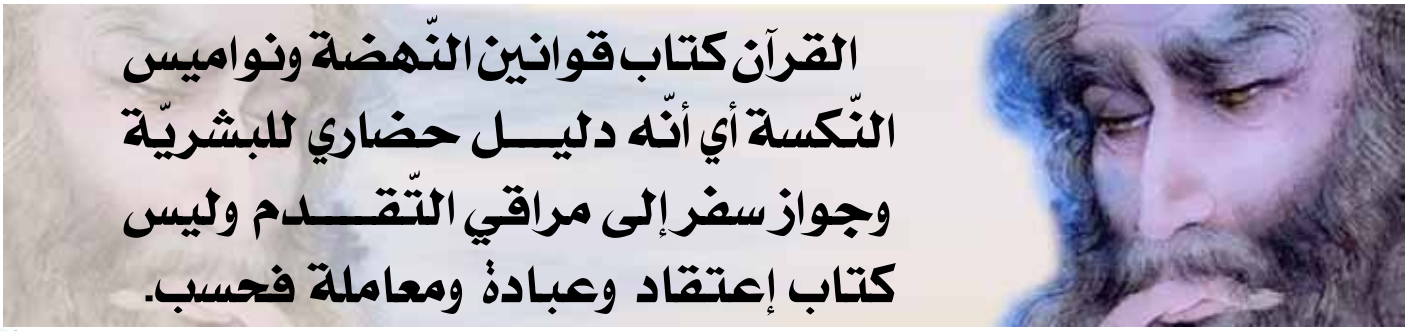

د.الخامس غفير
«أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي - المغرب»
elkhamisghafir@gmail.com

همسة

مأسسة الفشل

من العجب العجاب الذي يتعجّب منه كلّ متعجّب، هو أن نرى بعض الفاشلين بدل الإعتراف بفشلهم يسعون بكلّ الطّرق والسّبل الى تعليق فشلهم على الآخرين، فحسبي أن أقول لهم ليس العيب أن نخطئ في التّدبير والتّسيير أو في التقدير، و لكن العيب كلّ العيب هو أن نتمادى في الخطأ .

إنّ هذه العقليّة التّبريرية لن تدفع بنا إلى التّغيير والفعل والإنجاز، بقدر ما ستدفعنا الى إعادة إنتاج أخطاء الماضي وخلق صراعات هامشيّة، المستفيد الوحيد منها هم منظّرو الفشل بأوطاننا ومهندسوه.

فشل و فاشل

ذهب بعض المفكّرين إلى التّمييز بين نوعين من الفاشلين، هناك فاشل ذكيّ وفاشل غبيّ، فالفاشل الذّكي هو الذي يستفيد من تجربته ومن علاقته مع الفشل،حيث يجعلها وسيلة لتطوير ذاته وإمكاناته دون أن يتباكى أو يلقي باللّوم على الآخرين وعلى الظروف وأشياء أخرى غير قابلة للتّعريف والتّشخيص والتّجسيد.

أمّا الفاشل الغبيّ فهو ذلك الذي يعتبر فشله وكأنّه مقصود من خصومه، وممنهج من طرف من يعتقد بأنّهم يعملون بمشروع دقيق، ومحكم لتصفيته وإنهاء رصيده السّياسي وماضيه الحزبي والنقابي والثقافي وتاريخه النّضالي أو ما شاء وشئنا من أسماء ومسمّيات، حيث نجده يبكي، ويبحث بلا هوادة عن خصوم مفترضين، وحتّى اذا تعذّر عليه ايجادهم سعى الى صنعهم أو افتراضهم، ومن ثمّ توجّه إليهم بصورايخ لفظيّة وتصريحات معنّفة، وبكلمات هزليّة ساخرة .

هناك من يعتقد بأنّه ليس هناك فشل بقدر ما هناك تجارب وخبرات من الفشل، ورغم ذلك أجدني أميل للقول: نقبل بهذا الطّرح والزّعم، فقط إذا كان الأمر يتعلّق بذاتيّة الفرد، وبعلاقته بذاته ومشاريعه الشّخصيّة، وبمدى سعيه المتواصل نحو تطوير إمكاناته وقدراته، ولكن عندما يتعلّق الأمر بالأغيار ومهاجمتهم دون سبب يذكر، أو بسبب رفض النّقد، وتنزيه النّفس عن الخطأ، والغلط، فهذا موضوع آخر يحتاج إلى بيان وتوضيح أكثر .

مأسسة الفشل :

لعل أخطر ما نعيشه الآن، هو سعي الجهات الرّسميّة الى مأسسة الفشل، وترويجه بين فئات شبابنا وشِيبنا ومجتمعنا، حيث نرى أنّ جلّ تصريحات المسؤولين والذين يتصدّون إلى الشّأن العام، ومن ينصّبون أنفسهم صنّاع القرار، كلّها تصريحات تشي بالفشل وتبرّره، من قبيل الإرث الثقيل، السّعي الى إفشال التّجربة،

والتّماسيح والعفاريت، أو من قبيل كنّا نعول على هطول المطر، مشكل الجفاف، تهريب العملة، قطاع التّعليم غير منتج، ....

إنّ خطابا كهذا ليذكّرني بما يَذهب اليه الكثير عندما يعجز عن تحمّل مسؤوليته في الفعل والسّلوك، و كمثال على ذلك قولهم «ذهب عنّي القطار»، «صدمتني حجرة على مستوى رجلي»، «ضربني البرد»، «رفاقي سبب إدماني»... عقلية تبريرية بامتياز تستمدّ قوّتها من مؤسّساتنا الحاكمة .

لعل أخطر ما نعيشه الآن، سعي الجهات الرّسميّة الى مأسسة الفشل، وترويجه بين فئات شبابنا وشِيبنا ومجتمعنا.

برامج فاشلة لصناعة الفشل

المتأمّل في طبيعة البرامج التي يقدّمها لنا إعلامنا «إعدامنا»، يلحظ بوضوح وبدون مواربة ما يسعى إليه هذا الإعلام، فهو يقدّم لنا النّماذج الفاشلة في المجتمع، ويصوّرها كأبطال للاقتداء والاقتدار، ويكفي أن نلقي نظرة على عناوين البرامج الإذاعيّة والتلفزيّة التي تبثها المؤسسات الإعلاميّة في أقطار مغربنا العربي أو نشاهد بعضا من البرامج المدبلجة حتّى تتّضح الصورة في أذهاننا. فأغلب تلك البرامج تشدّد على الفشل العاطفي وتُروّج للفشل الأسري، وتستبيح الفساد القيمي والمنكرات الأخلاقيّة، وتُقوّض ما بناه أسلافنا من مبادئ إنسانيّة وأسس تربويّة بشّرت بقيم المحبّة ودعت إلى بناء مجتمع العمران البشري الأخويّ.....أليست هذه، مرّة أخرى، مأسسة إعلاميّة للفشل؟

مواطن متواطئ و مواطن «عضوي»

لله ثمّ للتّاريخ أقول أنّه للأسف الشّديد، أنّ المواطن مسؤول عمّا يجري، وعمّا يُمارس عليه من جرائم الفشل، ومن جرائم سياسيّة وأخلاقيّة، بحيث لم يتحرّك ولم ينتفض ضدّ هذه المهازل التي تمارس عليه،ولم يمارس هو الآخر ضغطا على المؤسّسات الإعلاميّة «العرجاء»، ولم ينتفض ضدّ محتكري الإعلام ومسؤوليه، بل أكثر من ذلك لم يتحمّل مسؤوليته في رفض هذا الفشل الإعلامي، وهذه السّياسة الإعلاميّة المعاقة والمدمّرة والمخرّبة.

لازلت أتذكّر إحدى المُستّات الفرنسيّات، ممّن رفعن دعوة قضائيّة ضد إحدى القنوات الفرنسيّة، وعلّلت ذلك بأنّ التّلفزيون الفرنسي قدّم لها الرّئيس الفرنسي «جاك شيراك» في نشراتها الإخباريّة أكثر من مرّة في ظرف أسبوع واحد، فذهبت إلى القول بأنّها تعرف «شيراك» جيّدا وهي من انتخبته، ثم قالت :أنا أسدّد نقود الضّرائب ليس من أجل مشاهدة الرّئيس الفرنسي، بل أنا أقوم بكلّ هذا وأكثر من أجل مشاهدة برامج هادفة. فأين نحن من هذه المرأة؟.

محمد الصالح الضاوي
«باحث في الإسلاميات والتصوف»
dhaoui66@gmail.com

المسرح في القرآن: التأصيل والمفهوم

هناك فرق بين أن نبحث عن علاقة المسرح بالقرآن، باعتبارهما وحدتين منفصلتين، تقوم بينهما علاقة ما، وتناسب ما، وبين أن نبحث عن المسرح في القرآن، باعتباره حاضنا له، ومعلنا عن إحدى مفاهيمه وتجلياته. ونحن نسير وفق هذه المقاربة الثانية، التي تعني، أن القرآن منتج للمسرح، ومولّد له، وله أبوّة شرعية له.

ولا شكّ، أنه لا بدّ من المرور عبر البدايات: اللغة، فنكتشف معنى المسرح، وعلاقته بالفضاء الخاصّ به... ثمّ نمرّ إلى عرض مسرحيّ في القرآن، بكلّ خصائصه الدرامية، لنكتشف النسبة بين اللغوي والاصطلاحي، ثمّ نعرّج على مدى انتشار اللغة المسرحية الدرامية في أدبيات التفسير الإسلامية، وعلاقة ذلك بنشوء المسرح.

المجال اللغوي لمصطلح: المسرح

خلافا لما يظنه القارئ، عرف العرب مصطلح «المسرح» وجمعها: المسارح، منذ القديم، واستخدموها في الأشعار ووردت في المرويات الحديثية بصيغ واشتقاقات مختلفة[1]، ولكنها لا تعني مفهومنا المعاصر: الدراما.

ففي لسان العرب [2]: يقال سرحت الماشية أي أخرجتها بالغداة إلى المرعى. وسرح المال نفسه: إذا رعى بالغداة إلى الضحى. والمسارح: جمع مسرح، وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعي. والسرح والسارح والسارحة سواء: الماشية... أو: الإبل والغنم... وأكثر مجال المصطلح: الفلاحة والرعي والطبيعة عموما... فالسرح: ضرب من الشّجر. وَقَالَ قوم: بل كل شَجَرَة طَوِيلَة سرحة. والسرحان: الذِّئْب. وَأهل الْحجاز يسمون الْأسد سرحانا. وسرحت العَبْد إِذا أَعتَقته، لُغَة يَمَانِية [3]. والسرائح والسرح: نعال الإبل، وقيل: سيور نعالها. والسريحة من الأرض: الطريقة الظاهرة المستوية في الأرض ضيقة. وسرح: ماء لبني عجلان. والمسرحان: خشبتان تشدان في عنق الثور الذي يحرث به [4].

ولكن للمصطلح معاني أخرى، مثل: التسهيل والإرسال والتطليق، والتوفيق[5]. وهي معان يمكن إيجاد مناسبة بينها وبين مجال الطبيعة والرعي. وفي النحو: نستعمل اللفظة للدلالة على مفعولين: أحدهما مسرح...، والآخر مقيد... [6]. والجدير بالذكر، أن أغلب الأنبياء مارسوا الرعي قبل النبوّة، في إطار إعداد رباني لمهام الدعوة، ورسكلة أو تربص لما هم مقدمون عليه من مشاق وابتلاءات.

[عن حكمة رعي الغنم: قال الحافظ في الفتح: قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة، أنه جعل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل

قصّة الغراب الذي بعثه الله ليقوم بعرض درامي واقعي مأساوي، ليعلم ابن آدم طقس الدفن هي إحدى المسرحيتين المذكورتين في القرآن.

لهم الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها، وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل البقر، وبالإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها، وفي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك بعد أن علم أنه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمننه عليه وعلى إخوانه الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء.] [(7)] .

المسرح في القرآن

في القرآن الكريم مسرحيتان مكتملتا الشروط الدرامية، بالمفهوم المعاصر، الأولى: قصّة الغراب الذي بعثه الله ليقوم بعرض درامي واقعي مأساوي، ليعلم ابن آدم طقس الدفن. قال تعالى في سورة المائدة: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)].

فكانت هذه القصّة أول عرض فرجوي واقعي درامي أبطاله حيوانات، عرض على ابن آدم،إثر قتل قابيل لهابيل، بعنوان غارق في المأساوية والتراجيديا: الموت... الجنازة... الندم...

الثانية: مسرحية الملائكة الذين تسوروا محراب النبيّ داود، بعنوان: خصام. قال تعالى في سورة ص: [وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ

كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)].

فهذه مسرحية أبطالها ملائكة عرضت في المحراب أمام النبيّ داود عليه السلام، فيها محاكاة لواقعة خصام بين أخوين. وتعتبر أول مسرحية من هذا النوع في القرآن.

وقد استمدّ الشيخ الطاهر بن عاشور، من هذه الآيات، مشروعية التمثيل والمسرح، فقال: [وفي هذا دليل شرعي على جواز وضع القصص التمثيلية التي يقصد منها التربية والموعظة، ولا يتحمل واضعها جرحة الكذب، خلافا للذين نبزوا الحريري بالكذب في وضع «المقامات»، كما أشار هو إليه في ديباجتها. وفيها دليل شرعي لجواز تمثيل تلك القصص بالأجسام والذوات إذا لم تخالف الشريعة، ومنه تمثيل الروايات والقصص في ديار التمثيل، فإن ما يجري في شرع من قبلنا يصلح دليلا لنا في شرعنا، إذا حكاه القرآن أو سنة النبيء صلى الله عليه وسلم، ولم يرد في شرعنا ما ينسخه.] [8] .

خصائص المسرح النبوي

لقد تعمدنا نسبة المسرحيات التي قدمنا آياتها سابقا، إلى النبوّة، باعتبار أن القرآن نقلها إلينا، وحفظها لنا، لتكرار عرضها خياليا، كلّما كررنا التلاوة. ولهذه المسرحيات خصائص منها:

أولا: أنها ارتبطت بالبيئة الطبيعية، بيئة الرعي، من خلال القرابين التي قربها ابنا آدم، وهي قرابين فلاحية. أو من خلال موضوع الخصومة التمثيلية، التي عرضها الملائكة الكرام، وهي خصومة بخصوص النعاج، وهي مفردة فلاحية أيضا. وهذه البيئة المسرحية تتناسب مع البيئة اللغوية لمصطلح: مسرح. فكأن القرآن، من خلال عرضه لهذين المثالين، يؤكد، على أن المسرح النبوي أصيل، أصالة اللغة العربية، يرتدي حلتها، ويرتفع إلى مقامها، ويجني ثمارها. أضف إلى ذلك، تأكيد السياق القرآني على التصاق المسرح لغويا وعرفانيا، بالطبيعة... الرحم الأم للإنسان...

ثانيا: ارتبطت المسرحيتان السالفتا الذكر بطقوس العبادة والمحراب. ففي المثال الأول، كانت مسرحية الغراب إثر فشل الرهان على قبول طقس القربان من أحد أبناء آدم عليه السلام. وفي المثال الثاني، كان المعبد ركحا للمسرحية الملائكية.

ونستشف من خلال هذه الملاحظة، أن المسرح في القرآن، هو دراما دينية بالأساس، خلافا للاعتقاد السائد بين المسلمين اليوم، بأن المسرح ولد مشركا.

ولعلنا بالرجوع إلى التاريخ القديم للإنسان وحضارته، نجد أن أولى العروض المسرحية كانت دينية،

المسرح في القرآن، هو دراما دينية بالأساس، خلافا للاعتقاد السائد بين المسلمين اليوم، بأن المسرح ولد مشركا.

بالأساس، في المعبد والمحراب. فمصر الفرعونية [أنجبت منذ الألف الثانية قبل الميلاد ظاهرة المسرحية الدينية المحجَّبة التي كانت تعرض داخل المعابد المقدسة فقط، ولا يسمح بمشاهدتها إلا للكهنة، ويؤدي أدوارَها الكهنةُ أنفسهم. كما أنجبت المواكب المسرحية الهائلة التي كانت تمثل انتصار الإله حوروس (الخير) على أخيه سيث (الشر). ويمتد الموكب على مسافة 25كم براً ونهراً - في النيل وعلى ضفتيه - من مدينة ممفيس إلى ميناء أبيدوس. وهذه الظاهرة تشبه احتفالات العرس الإلهي المقدس التي كانت تقام في قصر الملك البابلي على نهر دجلة منذ الألف الثانية قبل الميلاد.] (9) .

وقد ورثت كل الحضارات الشرقية هذا الأصل الديني للمسرح، وطورته حسب نصيبها من الإرث، وحسب ما انحرفت به من مفاهيم الوحي إلى خيالات الأسطورة، فازدهرت الدراما الإغريقية بين صراعات للآلهة يعاد محاكاتها بلغة شعرية راقية مقدسة، تحاكي الوحي في بلاغته. وتطوّرت الدراما البوذية الصامتة [ففي نحو القرن الرابع عشر، أضاف الكهنة البوذيون أناشيد جوقية إلى التمثيل الطقوسي الصامت، ثم أضافوا إلى ذلك شخصيات فردية، ودبروا حبكة للمسرحية بحيث تفسح المجال أمام هذه الشخصيات فتفعل الأفعال كما تقول الكلام، ومن ثم ولدت المسرحية] (10) .

ثالثا: إذا كان العرض الواقعي أمام ابن آدم، يمثل عرضا صامتا حسيا واقعيا، يناسب طفولة الإنسان المعرفية، فإنّ العرض المسرحي الملائكي يمثل البعد الخيالي البرزخي العقلي النفسي. ولا ريب، أن البعد المعرفي التجريدي الروحي يمثله القرآن المحمّدي، من خلال قدرته على استعراض الحدث التاريخي والمستقبلي في أبهى تصوير فني بليغ، تتجلى منه شبكة من الرموز والمفاتيح لحضرات روحية عالية. وهو ما سيكتشفه الجرجاني، من خلال النظم في القرآن. فهذه مستويات ثلاثة للدراما النبوية: حسي وخيالي وروحي.

فالمسرح، مكوّن نبوي، وإحدى طرق الإلهام والوحي، ووسيلة من وسائل التربية والإصلاح، وأصالته ضاربة في العمق اللغوي والعرفاني... فالأنبياء كانوا يسرحون بالأغنام، في إطار عملية ترميز، وحل شيفرات الإنسان: اجتماعيا ونفسيا وسياسيا.فمن خلال هذه الرؤية، يمكننا قراءة كل العروض الدرامية المستوحاة من القصص القرآني والأمثال القرآنية المرتبطة بالطبيعة والفلاحة والإنسان، في تأصيل روحي يجعل من الحركة المسرحية والصورة والإضاءة والحدث والنص، تجليات الحرف القرآني الناظم للكلمات والآيات والسور.

المسرح والتفسير

لماذا لم يكتشف المفسرون هذه الرؤية القرآنية الأصيلة للمسرح، ولم يقبلوا على الدراما بوصفها عملا

المسرح، مكوّن نبوي، وإحدى طرق الإلهام والوحي، ووسيلة من وسائل التربية والإصلاح، وأصالته ضاربة في العمق اللغوي والعرفاني

ارتبط بالوحي والنبوّة؟ ولماذا يعادون المسرح في أغلب أدبياتهم؟

بوادر الرؤية الفنية اللغوية للقرآن، بدأت مع الجرجاني، من خلال نظريته حول النظم في القرآن، والتي فسّر بها إعجاز القرآن. [حتى إذا جاءت العصور الحديثة وفيها ارتقى التصوير، وأدوات العرض بالرؤية من أشرطة وأجهزة رائية جهد الأدب أن يلحق المصوّرة، ويحل بالكلمة والعبارة محل الصورة، وكان من البديهي أن يلتفت الدارسون إلى إعجاز القرآن يبحثون فيه عن الصورة وعن فن التصوير.] (11) .

ويعتبر سيد قطب أول من تحدّث عن: التصوير الفني في القرآن، فيقول: [إن حقيقة جديدة تبرز لي، إن الصور في القرآن ليست جزءا منه يختلف عن سائره، إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض- فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال- فليس البحث إذن عن صور تجمع وترتب، ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز، ذلك توفيق لم أكن أتطلّع إليه، حتى التقيت به] (12) .

وبعد كتاب سيد قطب (1945) صدر تفسير للقرآن للأستاذ: عبد الكريم يونس الخطيب في سنة 1970، تحت عنوان: التفسير القرآني للقرآن، ويعتبر أول تفسير يشتمل على عبارات ومفردات وألفاظ ومصطلحات العرض المسرحي. فقد ذكر كلمة: مسرح أكثر من عشرين مرّة، وكذلك كلمات: عرض، أشخاص، أحداث، مشهد، حركات...

فمن جملة تفاسيره، تعليقه على آيات سورة الشعراء، بخصوص جمع السحرة للتحدي، فيقول: [وفي هذا المشهد نرى حركات سريعة متلاحقة، بعضها خفيّ، وبعضها ظاهر... ويتشكل من خيوط هذه الحركات صور شتى، تظهر على مسرح الأحداث..] (13) .

ويقول أيضا: [والمشاهد لهذه المشاهد من خارج، يرى في كلمات الله التي صورتها، ما لا يراه على مسرح الحياة، ولو أتيح لهذه المشاهد من أبرع المخرجين من يخرجها ويتخير لها كل ما في الحياة من إمكانيات.. في الممثلين وأدوات التمثيل!] (14) .

وباحتشام كبير، نجد بعض عبارات الفن المسرحي تتسرّب إلى بعض العلماء، كتعبير أدبي فني، لا روحي تجريدي، فنقرأ لسعيد حوى مثلا: [...والواقعية الصادقة الأمينة النظيفة السليمة في الوقت نفسه، لا تقف عند واقعية الشخصيات الإنسانية التي تحفل بها القصة في هذا المجال الواسع، في هذا المستوى الرائع. ولكنها تتجلى كذلك في واقعية الأحداث والسرد والعرض وصدقها وطبيعتها في مكانها وزمانها، وفي بيئتها وملابساتها. فكل حركة وكل خالجة وكل كلمة تجئ في أوانها، وتجئ في الصورة المتوقعة لها. وتجئ في مكانها من مسرح العرض. متراوحة بين منطقة الظل ومنطقة الضوء بحسب أهميتها ودورها وطبيعة جريان الحياة بها .. الأمر الملحوظ في الشخصيات أيضا كما قررنا من قبل هذا ..] (15) .

إن الصور في القرآن ليست جزءا منه يختلف عن سائره، إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض.

ويعدّ الشيخ الطاهر بن عاشور من أوائل من أجاز التمثيل والمسرح انطلاقا من دليل قرآني (مسرحية الملائكة أمام النبيّ داود عليه السلام) ونشر تفسيره سنة 1984 في 30 جزء، تحت عنوان مختصر: تفسير التحرير والتنوير.

كلّ هذه الإشارات الإيجابية، لم تمنع الموقف العدائي السلبي ضدّ المسرح، من علماء ودعاة وكتاب، حيث يربطون كل رذيلة بالفنون، وعلى رأسها المسرح، باعتبارها وسائل الغرب في محاربة الإسلام. [قال الشيخ محمد قطب مبيناً استغلال أعداء الإسلام لهذه الوسائل في هدم الإسلام: «كان من المفاسد الجديدة التي جاء بها الاستعمار: التلاعن بالفاحشة باسم «التحرر» و»الانطلاق» و»المدنية» والدعوة إلى السفور والدعوة إلى الاختلاط، وكان منها توسيع دائرة «اللهو» باسم «الفن» و «الرقي» و»الحضارة» فمرة مسرح، ومرة سينما، ومرة إذاعة ماجنة تقدم الغناء الفاحش، والتأوهات المريضة والألفاظ العاتية، ومرة يكتب عليه صراحة اسم «ملهى» ومرة.. ومرة.. ومرة.

وقال أيضاً: «وجدت بعد أيام الاستعمار الأولى وسائل أخرى كلها للإفساد، من أبرزها التلفزيون والفيديو ... واتخاذ الصحافة النسوية ثم السينما والتلفزيون لإغراء المرأة بمزيد من التبذل والفساد»] [16] .

ونعتقد، أن ارتباط المسرح في بداياته بالاستعمار، وبالشخصيات المسيحية، وحتى بنصوص غربية معروضة على خشبة المسرح [17] ، جعل المحافظين يتصدّون لهذا الفن الغازي، ولم يكتشفوا، للأسف، أن مقوّمات التعبير الخطابي القرآني، لا تخرج عن المشاهد الدرامية والعروض الفرجوية والمسرحيات التمثيلية... باعتبارها أنماطا إيحائية وتربوية وعرفانية، موجهة للإنسان، في نسخته المحمّدية.

الهوامش

[1] في حديث أم زرع «له إبل قليلات المسارح كثيرات المبارك».
وحديث جرير «ولا يعزب سارحها».
وحديث «لا يمنع سرحكم».
وحديث ابن عمر «فإن هناك سرحة لم تجرد ولم تسرح».
و حديث ظبيان «يأكلون ملاحها ويرعون سراحها».
وحديث الفارعة «إنها رأت إبليس ساجدا تسيل دموعه كسرح الجنين».
وحديث الحسن «يا لها نعمة- يعني الشربة من الماء- تشرب لذة وتحرج سرحا».
وحديث الفجر الأول «كأنه ذنب السرحان».

[2] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري

نعتقد، أن ارتباط المسرح في بداياته بالاستعمار، وبالشخصيات المسيحية، وحتى بنصوص غربية معروضة على خشبة المسرح، جعل المحافظين يتصدّون لهذا الفن الغازي

(المتوفى: 606هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، نشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ج 2، صص 357-358.

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط 3 - 1414 هـ، ج 2 صص 478-482.

[4] بن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (المتوفى: 321هـ): جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط 1، 1987م، ج1 ص 512.

[5] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط 3 - 1414 هـ، ج 2 صص 478-482.

[6] ن.م.

[7] بن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر – بيروت، ط 1420 هـ،ج 8، ص 82.

[8] حوّى، سعيد (المتوفى 1409 هـ): الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية، نشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط 3، 1416 هـ - 1995 م، ج 1، صص 167-168.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : 1393هـ):التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، نشر : الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ، ج 23 ص 238.

[9] حفار، نبيل: المسرحية (الدراما)، موقع الموسوعة العربية.

[10] ديورَانت، وِل = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: 1981 م): قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، نشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408 هـ - 1988 م، ج 5، ص 112.

[11] عتر: نور الدين محمد الحلبي: علوم القرآن الكريم، نشر: مطبعة الصباح – دمشق، ط 1، 1414 هـ - 1993 م، ص 224.

[12] قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن ص 8. من خلال:

مسلم،مصطفى: مباحث في إعجاز القرآن، نشر: دار القلم – دمشق، ط 3، 1426 هـ - 2005 م، ص 109.

[13] الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد 1390هـ): التفسير القرآني للقرآن، نشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ج 10 ص 84.

[14] ن.م. ج 4 ص 408.

[15] حوّى سعيد (المتوفى 1409 هـ): الأساس في التفسير،، نشر: دار السلام – القاهرة، ط 6، 1424 هـ، ج 5، ص 2699.

[16] الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1423هـ/2003م، ج 1، ص 463.

[17] هيكل، أحمد عبد المقصود : تطور الأدب الحديث في مصر، نشر: دار المعارف، ط 6، 1994، صص 82-84.

محمد بن نصر
«باحث وأكاديمي تونسي»
birali@hotmail.com

شديد باختصار

من الصور الخادعة

(1)

من يكتفي بالنّظرة السّطحيّة للأشياء يصعب عليه أن يفهم ما تخفي من حقائق مؤلمة. الذين ينبهرون بالخدمات التي توفّرها المجتمعات الغربيّة لمواطنيها مع تفاوت بينهم، يجهلون الكلفة العالية لهذه المواطنة الرّاقية ويجهلون أكثر شروط استمرارها. يجهلون أنّ السّعادة الأرضيّة التي يعيشونها لا يمكن لها أن تكون الاّ باستمرار شقاوة شعوب بأسرها. مقدرات منهوبة ولكنّها تسير وفق برنامج وعقل منظّم، فيغيب السّؤال عن مصدرها ويسلّط الضّوء عن كيفيّة تصريفها.

(2)

من يتوقّف عند الأصوات النّسائية المدافعة عن المرأة يغيب عنه أنّ العديد منهنّ لم ينلن حرّيتهن، ولا أعمّم، لأنّ العقليّة الذكوريّة لم تعد مهيمنة، ولا أعمم، ولكن لأنّ القيود التي أسقطتها المرأة التي استطاعت أن تمتلك شروط التّحرّر وضعتها موضوعيّا في يد إمرأة أخرى لم تسعفها ظروفها لامتلاك شروط التّحرّر، فجعلتها خادمة لها تحت صفة «المعينة النّاعمة». فالعديد من أشكال التّحرر تخفي العديد من أشكال الإستعباد. والأمر لا يتوقّف فقط عند المتحرّرات من النّساء ولكن يصدق أيضا على المتحرّرين من الرّجال. من هنا يتبيّن أهمّية النّظر في حرّية الإنسان مطلقا، ذاك الإنسان الذي قال عنه أبو حيان التّوحيدي «أشكل الإنسان على الإنسان».

الغرض من هذين المثالين رفع الغشاوة عن العقل حتّى لا يكون أسيرا للصّورة المهيمنة، الصّورة التي تجعل العقل غير قادر على فهم الأشياء في عمقها، فيصعب عليه تربية نفسه على التّنسيب.

علينا رفع الغشاوة عن العقل حتّى لا يكون أسيرا للصّورة المهيمنة التي تجعل العقل غير قادر على فهم الأشياء في عمقها، فيصعب عليه تربية نفسه على التّنسيب

د. إبراهيم والعيز
«أستاذ باحث في الدراسات الإسلامية-المغرب»
brahim-oulaiz@hotmail.fr

استقرار الأسرة: الشروط والمقومات

الأسرة هي اللّبنة الأولى في بناء المجتمع، والرّكيزة الأساسيّة التي يقوم عليها صرحه المتين، وعلى مدى قوّتها وتماسكها المستمدين من عقيدة الأمّة المستوحاة من هدي الكتاب والسّنة، تتوقّف البنية الاجتماعيّة برمّتها في مناعتها وسلامتها وفعاليتها وقدرتها على الاستقرار والصمود والعطاء.

فما مفهوم الأسرة؟، وما هي وظائفها في المجتمع؟، وما شروط ومقومات استقرارها؟، وكيف يمكن صونها وحمايتها من التفكّك والانحلال؟.

إجابة على الأسئلة التي طرحتها في التّقديم، أناقش هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: الأسرة الصّالحة أساس صلاح المجتمع:

(1) مفهوم الأسرة

هناك العديد من التّعاريف الخاصّة بالأسرة، وهي تختلف وتتعدّد تبعا لاختلاف اتجاهات الباحثين والمفكّرين في تناولها، وعلى الرّغم من هذا التّعدد إلاّ أنّها جميعا تنصبّ على بيان وظيفة الأسرة ودورها التّربوي والاجتماعي. ومن هنا يمكن تعريف الأسرة بالقول؛ «الأسرة هي: الوحدة التّأسيسيّة لشبكة العلاقات الاجتماعيّة من نسب وزواج ومصاهرة، والتي تبثّ في أفرادها الرّاحة النّفسية والإحساس بالأمان والاستقرار الاجتماعي، وتساعدهم في حلّ مشاكلهم الخاصّة والعامّة»، ويشهد لهذا قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» [1].

(2) مركزية الأسرة في صلاح المجتمع

إنّ الأسرة في التّصور الإسلامي أساس العيش الطّيب، فيها يصنع الإنسان وبها يبنى العمران، ولذلك أولاها الإسلام عناية خاصّة، فخصّها بالحظّ الأوفر من تشريعاته في القرءان الكريم والسّنة النّبوية المطهّرة صيانة لها وضمانا لسلامتها، لأنّ سلامتها تعني سلامة حاضر ومستقبل الإسلام والمسلمين والبشرية جمعاء، وخرابها خراب لكلّ ذلك.

والأسرة باعتبارها نواة المجتمع واللّبنة الأولى في بنائه، تتلخّص وظيفتها في هذا المستوى في إصلاح المجتمع وضمان استقراره، وتحقيق نمائه وازدهاره، من خلال توفير ظروف الصّلاح وأجواء الاستقامة

المسعفين على الفعاليّة والإيجابيّة وأخذ المبادرة. ويمكن تلخيص ذلك في ثلاث نقط:

* الأسرة الصّالحة تحفظ أمن المجتمع وتضمن استقراره، وذلك بتطهيره من مختلف الآفات التي تهدّد أفراده، كانتشار جرائم القتل والاغتصاب، وتفشي ظاهرة العنف، وازدياد ظاهرة تشرّد الأطفال واستغلالهم في الدّعارة والمخدّرات من قبل العصابات الإجراميّة.

* الأسرة الصّالحة تهيئ الجيل الصّالح الذي يصلح الأرض ويعمرها بالعمل الصّالح وحفظ حقوق الغير وأداء الواجبات كما أمر الله سبحانه وتعالى، ويساهم في القضاء على الفساد بكلّ ألوانه، أو التّخفيف منه على الأقل، عملا بقوله تعالى: «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا» [2].

* الأسرة الصّالحة أصل في إنشاء مجتمع صالح يكثر فيه الإنتاج والفعّالية وأخذ المبادرة في مجال فعل الخير والتّعاون عليه، لبناء مجتمع متماسك قويّ تسود فيه أخلاق التّكافل والتّضامن، استجابة لقوله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ» [3].

الأسرة الصّالحة أصل في إنشاء مجتمع صالح يكثر فيه الإنتاج والفعّالية وأخذ المبادرة في مجال فعل الخير والتّعاون عليه

المحور الثاني: استقرار الأسرة؛ الشّروط والمقومات:

إنّ الأسرة التي تحافظ على الوظيفة المنوطة بها في صناعة الإنسان وبناء العمران وإصلاح المجتمع والسّعي إلى حفظه وصيانته من كلّ الآفات وجميع الأخطار هي الأسرة المستقرّة، واستقرار الأسرة لا بدّ له من شروط ومقومات، أختصرها فيما يلي:

* الاختيار الموفّق للزّوج الصّالح وقبول الزّوجين ببعضهما وتوافقهما في المشاعر والتّصورات والأهداف.

* الحضور المؤثّر للأبوين في الأسرة وفي محيطها؛ بالقدوة الحسنة والنّصح والتّوجيه وزرع المحبّة بين أفرادها.

* اهتمام الأبوين بالوازع الدّيني وتربية الأبناء عليه، صيانة للأسرة من الضّياع والانحراف، لأنّ الدّين صمّام الأمان من جميع الأخطار.

* تحلّي أفراد الأسرة جميعهم بمكارم الأخلاق كالصّبر والعفو والعفّة والمعاشرة بالمعروف، لحفظ تماسك الأسرة وغرس أخلاق التّراحم والتّعاون بين كلّ عناصرها.

* الدخل المناسب الذي يؤمن للأسرة احتياجاتها الأساسية، ضمانا لقسط من الرفاهية والطمأنية والسعادة والاستقرار.

فإذا توفرت هذه الشروط والمقومات، لاشك سيتحقق المقصد الشرعي من دعوة الإسلام إلى تأسيس الأسرة وبنائها: مقصد السكينة والطمأنينة، والمودة والرحمة. وتحقق هذا المقصد هو العامل المؤثر الأول الذي يساعد الأسرة على القيام بوظيفتها الاجتماعية المتمثلة في حفظ الفضيلة في المجتمع، والتغلب على ضدها من مختلف الرذائل التي تهدد سلامة المجتمع وأمنه.

وحتى تكون الأسرة في مستوى المسؤولية المنوطة بها، لا بد من التفكير في حمايتها من عوامل التفكك والانحلال، خاصة في الزمن الحاضر الذي أصبحت فيه الأسرة مستهدفة بالتخريب من قبل المغرضين الذين يتربصون الدوائر بالإصلاح وبأهله، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الأسرة العمود الفقري للمجتمع، وذلك ما يتضمنه المحور الموالي.

المحور الثالث: تحصين الأسرة من الانحلال والتفكك:

هنالك جملة من القواعد يساعد حضورها وتفعيلها على صيانة الأسرة وحمايتها من الضّياع والتّفكك والانحلال، هذه القواعد أصوغها كما يلي:

* التزام كلّ أفراد الأسرة بالمقومات الشّرعية للأسرة النّاجحة، ويتحقق ذلك بتفعيل أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها فقها وتطبيقا؛ (الاختيار الحسن للزوج، والمعاشرة بالمعروف بين أفراد الأسرة، واستحضار الوازع الديني في التربية، وبر الوالدين...).

* تنظيم دورات تدريبيّة وندوات علميّة بهدف إطلاع الأزواج والأبناء وجميع أفراد الأسرة على الأدوار الشرعية المنوطة بكل فرد، مع الاجتهاد في ربط ذلك بسيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم نموذج الكمال البشري في حسن معاملة أهل بيته.

* قيام كلّ المؤسّسات الموجودة في المجتمع (مساجد، ومدارس، ووسائل الإعلام...)، بواجبها في دفع جميع الأخطار المهدّدة لاستقرار الأسرة، وخاصّة ما يتعلّق بسوء المعاشرة، والعقوق، والعنف، وإهمال حقوق الأسرة، وغيرها من الأخطار التي تفرّغ الأسرة من فحواها وتعرقل وظيفتها في التّربية والإصلاح.

الهوامش

[1] سورة الروم - الآية 21.

[2] سورة الأعراف - الآية 55.

[3] سورة المائدة - الآية 03.

على كلّ مؤسّسات المجتمع (مساجد، ومدارس، ووسائل الإعلام...) أن تقوم بواجبها في دفع جميع الأخطار المهدّدة لاستقرار الأسرة.

حتّى

لا ننسى

مجزرة جنين

1-12 أبريل 2002

د.نبيل غربال
«أستاذ بكلية العلوم صفاقس»
ghorbel_nabil@yahoo.fr

مستقر الشمس
«الجزء الثاني»

رأينا في الجزء الأول أنّ لمادّة (ق ر) في اللّسان العربي معنيين أصليين هما أولا التمكّن وما يعنيه من ثبات وسكون ودوام وثانيا البرد وهو ملازم للسّكون. والمستقرّ لغة يمكن أن يكون اسم مكان القرار أو اسم زمانه أو مصدرا ميميّا. فمن قال باسم المكان اعتبر المواضع القصوى لمشارق الشّمس ومغاربها وكذلك المواضع القصوى في كبد السّماء هي مستقرّات أما تشبيها لها بمستقرّات المسافر الذي يقطع مسيره عندها في حالة المشارق والمغارب أو ضنّا لتوقّف الشّمس الذي يوحيه البطء في حركتها عند الأوج والحضيض. أما القائلون بأنّ المستقرّ اسم زمان القرار أي الوقت والأجل الذي تجري اليه الشّمس ولا تتعدّاه، فيرون أنّه يوم القيامة. وهناك من ربط الزّمان بالمكان وقال أنّ المستقرّ هو الحدّ الذي تنتهي إليه من فلكها في آخر السّنة.

فهل من جديد في التّفاسير الحديثة بعدما اتّضح أنّ كلّ ما بنى عليه الأقدمون تفاسيرهم هي ظواهر فلكيّة ظاهريّة وأنّ حقيقة حركة الشّمس لا علاقة لها بالمشارق والمغارب ومدى ارتفاعها فوق الأفق؟ إنّنا في عصر أصبح فيه أغلب النّاس يعرفون أنّ الأرض تدور حول نفسها مرّة كل يوم وهي الحركة التي تعطي اللّيل والنّهار وتوحي لنا بأنّ الأجرام السّماوية تدور حولنا، وأنّها تدور أيضا حول الشّمس مرّة في السّنة وهو ما يفسّر تغيّر المشارق والمغارب ومدى الارتفاع فوق الأفق. وهذا يعني أنّ ما كان ينسب للشّمس كحركة هو في حقيقته نتيجة لحركة الأرض.

التّفاسير الحديثة

(1) أوج الشّمس

رأينا في آخر الجزء الأول أنّ الانسان لم يكن يعرف حقيقة حركة الشّمس قبل عام 1783. ففي تلك السّنة اكتشف «هيرشل» أنّ الشّمس تتحرّك بالنّسبة للنّجوم المجاورة بسرعة قدر أنّها تساوي 20 كم في الثّانية، كما حدّد اتجاه تلك الحركة وهو صوب كوكبة هرقل وهي ظاهريّا مجموعة من النّجوم تبدو وكأنّها مرتبطة ببعضها البعض وهي غير ذلك بل تفصل بينها مليارات الكيلومترات ولا تمثّل بنية متماسكة كما تبدو للمشاهد. أطلق على ذلك الاتجاه مصطلح Solar Apex الذي عرب فيما بعد بمصطلح «أوج حركة الشّمس». فهل للشّمس في الأوج قرار؟

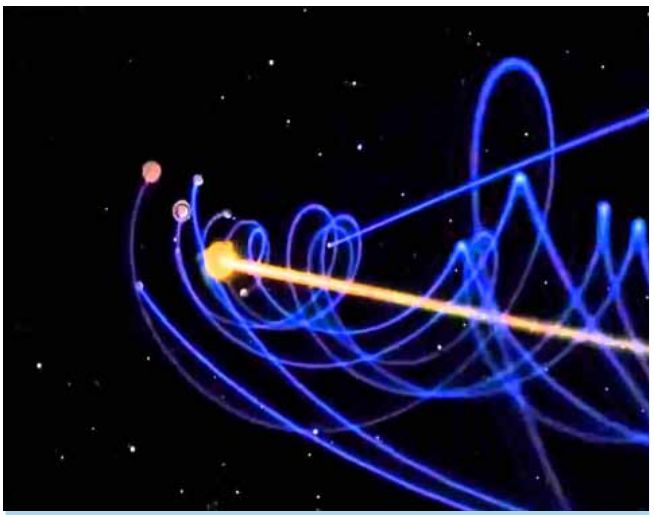

تتحرّك الشّمس في الفضاء وهو يعجّ بالنّجوم التي تتحرّك بدورها فلا ثبات في الكون، وكلّ شيء يتحرّك بالنّسبة لكلّ شيء.

إنّ تعريف المصطلح يغني عن كلّ بحث إذ يعطي مباشرة الإجابة. فالأوج هو اتّجاه فقط، تحدّده نقطة وهميّة فيما يبدو قبّة سماويّة. وتحديد الاتّجاه لجسم متحرّك يتطلّب جسما ثابتا. وبالنّسبة للشّمس فإنّ النّقطة الوهميّة التي توجد على امتداد خطّ سيرها تبدو «قريبة» جدّا من النّجم «ألفا» من كوكبة «القيثارة» أو «زاتا» من كوكبة «هرقل» وهي نجوم تعتبر ثابتة نظرا لأنّ الأبعاد التي تفصلنا عنها هائلة جدّا وهي على التّوالي 25 و35 سنة ضوئيّة[1] .

إنّ اعتبارها ثابتة مرتبط بالمدّة الزّمنية التي يرصد خلالها الإنسان ذلك الاتّجاه وهي مدّة مهما طالت فهي قصيرة بالنّسبة للوقت المطلوب ليتسنّى لنا ملاحظة تغيّرها. تتحرّك الشّمس في الفضاء وهو يعجّ بالنّجوم التي تتحرّك بدورها. ورغم ذلك فمن المؤكد أنّه ستوجد دوما نجوم في اتجاه حركة الشّمس، ولا يمكن أن تبدو الاّ ثابتة باعتبار المسافة التي تفصلنا عنها. لكن، لا ثبات في الكون وكلّ شيء يتحرّك بالنّسبة لكلّ شيء. لذلك فإنّ هذا الاتجاه ليس أزليّا فمع الوقت سوف يكون اتجاه حركة الشّمس نحو نجم آخر وهكذا.

لقد أصبح من المعلوم من الفلك بالضّرورة أنّ الشّمس تنتمي الى مجموعة نجميّة تسمّى مجرّة وهي تتكوّن من 200 الى 300 مليار نجم، كلّها تدور حول مركز مشترك يسمى «Sgr A*» وتقدّر سرعة دوران الشّمس حول ذلك المركز بـ 239 كلم في الثّانية. ورغم كلّ ذلك هناك من قال بأنّ المستقرّ هو الأوج أي ساوى بين اتجاه حركة يبدو ثابتا ومحلّ قرار تقول الآية بأنّ الشّمس تجري له. وسنكتفي بمثال واحد على ذلك.

ففي «موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي» نقرأ «لقد وجد العلماء بعد دراسات معمّقة أنّ الشّمس تجري باتجاه محدّد أسموه مستقرّ الشّمس أو «solar apex» ويعرّفه الفلكيّون كما يلي: A point toward which the solar system is moving; it is about 10° southwest of the star Vega. أي هو النّقطة التي تتحرّك الشّمس (مع كواكبها) باتجاهها أي بزاوية تميل 10 درجات جنوب غرب نجم «النسر» بسرعة تقدر بحدود 19.4 كلم في الثانية. المهم أنّ القرآن قد أشار إلى وجود مستقرّ ما للشّمس في قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [يس: 38]».

غريب مثل هذا الكلام اذ ليس هناك مستقرّ فيما نسب للفلكيّين وأورده «الكحيل» بنفس لغة العلماء. وما جاء من السيد «الكحيل» يعكس بوضوح عدم فهم ما قاله الفلكيّون وهو أمر مؤسف جدّا. إنّ الاستنتاج الذي يخرج

به يعكس فعلا إمّا عدم فهم معنى اتجاه حركة الشّمس وعدم ثباته وإمّا عدم تقيّد بالمعني الأصلي للمستقر وهو كما بيناه في المقال الأول موضع الثّبات والسّكون وما يلازم ذلك من برودة أي انخفاض في درجة الحرارة. فأين كلّ تلك المعاني المطلوب الالتزام بها من نقطة وهميّة متغيّر وضعها في السّماء تسمّى أوج الشّمس؟!

(2) الحركة الدّورية للشّمس والمستقرّات المتعدّدة

بعدما توضّح المنحى الذي سار فيه العديد من الذين قالوا بأنّ المستقر هو أوج الشّمس سواء اقتناعا أو نقلا وهو توجّه غريب خاصّة ممّن يقول بالإعجاز العلمي ولا يلتزم بصرامة منهجه ودقّة مصطلحاته ووضوح مفاهيمه، نكتشف توجّها آخر لا يقلّ غرابة اذ يصبح فيه المستقرّ مستقرات.

أ- جاء في موقع الدكتور محمد راتب النّابلسي أنّ «كلُّ نجمٍ يدورُ حولَ نجمٍ آخرَ، ويرجعُ إلى مكانِ انطلاقهِ النّسبيِّ، وهذه الحقيقةُ تنتظمُ الكونَ كلَّه، قال عز وجل:﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾» [2]. ما يلاحظ مباشرة عدم وجود علاقة بين الآية المستشهد بها والمتعلّقة بجريان الشّمس واستقرارها من جهة وظاهرة دوران النّجوم حول بعضها البعض من جهة ثانية فضلا على أنّ لا وجود لنجم يدور حول الشّمس أو تدور الشّمس حوله حتى يكون لبداية الجملة علاقة بنهايتها. أمّا مسألة رجوع النّجم الى مكان انطلاقه النّسبي، فلا علاقة لها بالمستقر ويبدو أنّ «النّابلسي» متأثّر بالتّفاسير القديمة التي أنتجت بوحي من الحركة الدوريّة الظّاهرية للشّمس ومواضع القرار الوهميّة التي تصوّر المفسّرون أنّها تعود إليها دوريّا أيضا. وسنرى الآن أنّ هذا التّأثير طال أيضا حتى من انتقد اعتبار أوج الشّمس المستقر المراد من الآية.

ب- «المستقرّات البعيدة» و«المستقرّات القريبة» أو «المستقرّات الكبرى» و«المستقرّات الصغرى»: في مقال له على الأنترانت بعنوان «مستقرّ الشّمس وسجودها: رجحان التّفسير، والرّد على المنكرين»[3] كتب «عزالدين كزابر» «أنّ الشّمس لا يمكن أن تسقط في موضع بعينه، كأن يكون جِرم من الأجرام، فيكون لها مستقرا. والسّبب كما أوضحنا، أنّ شرط الاستقرار أن تحافظ على كيانها، فلا تنعدم. وهذا هو الشّرط الذّاتي بالشّمس عينها. وهو شرط غير ممكن التّحقق مع سقوط الشّمس في أيّ جرم أعظم منها، لأنّ انهيارها وتفكّكها وزوالها داخله سيكون أمراً حتميّاً إذا هوت فيه، فأين ذلك من معنى المستقرّ؟! والمستقرّ – كما هو معلوم -هو محلّ الاستقرار أو الدّوام أو الحياة كما في قوله تعالى «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ»(الأنعام:98)، وقوله سبحانه «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»(البقرة:36). وممّا يدعّم ذلك أيضاً قول الله (لاحظوا أنّه يقول أنّ قول الله يدعم فكرته!) تعالى لموسى عليه السلام: «انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا»(الأعراف:143) أي أنّ الاستقرار يتنافى

إن اعتبار المستقر هو أوج الشّمس هو توجّه غريب خاصّة ممّن يقول بالإعجاز العلمي ولا يلتزم بصرامة منهجه ودقّة مصطلحاته ووضوح مفاهيمه.

مع الاندكاك، وأنّ المُنْدكَ لا يوصف بالاستقرار. وكذلك الشّمس إذا هوت في شيء آخر – كالثّقوب السّوداء مثلاً – لا يكون ذلك لها استقرارا».

واضح جدّا أنّ الكاتب ينفي أن يؤول الأمر بالشّمس الى السّقوط في جرم أكبر منها وهو اتجاه تفسيريّ آخر موجود. ما يهمنا في دراسة «كزابر» هو قوله أنّ للشّمس مستقرّات أي أنّه لا يرى أنّ الآية تشير الى مستقرّ واحد بل أكثر وهو ما يذكّرنا من جديد بالمستقرّات المتعدّدة الموجودة في التّفاسير القديمة (مواضع الشّروق والغروب، الأوج والحضيض، منازل الشّمس).

يحدّد الكاتب في بداية الجزء الثّاني معنى الاستقرار والمستقرّ فيقول «الاستقرار هو: [طلب (القرار) مع دوام وجود عوارض تحول دون تمام الخلوص إليه على مدار الزّمن] ويكون المستَقر هو: [(القرار) المطلوب الخلوص إليه، مع وجود عوارض تحول دون تمام ذلك]». هذا التّعريف الأخير للمستقرّ يختلف عمّا جاء في المقدّمة حيث المستقرّ هو محلّ الاستقرار أو الدّوام. فما هو معنى المستقرّ الذي على ضوئه تعامل «كزابر» مع الآية، أهو محلّ الاستقرار والدّوام والذي يقرّ فيه المرء أو الجسم مدّة زمنيّة كما يقول اللّسان العربي أم هو القرار (المحلّ) المطلوب الخلوص اليه دون جدوى كما يعرفّه هو؟

مال الكاتب الى المعنى الثّاني الذي اجتهد في بلورته ليس لضرورة لغويّة كما حاول تبرير ذلك بل لتأثّر عميق بالتّفاسير القديمة التي تعاملت مع الشّمس كالمسافر الذي يقطع سيره ويمكث لمدّة زمنيّة في مكان ثم يقفل راجعا. كان يمكن للمسافر أن لا يرجع ويحلّ في ذلك المكان دائما لكن حركة الشّمس الدّوريّة أي رجوعها من حيث جاءت هو الذي جعل المفسّرين يختارون مسافرا يؤول أمره الى حالة ليست من طبيعة حركته بالضّرورة وهي حالة ذهاب وإياب متكرّرة بين مستقرّات ليس هناك في الأصلينِ الصّحيحين لجذر «قرّ» ما يدلُّ على وجود عوارض تمنع الجسم من البقاء بل العكس فأحدهما يدل على تمكُّن وتثبّت، والثّاني على برد وهو ملازم للسّكون. فمن أين جاء المانع الذي يحول دون القرار المطلوب الخلوص اليه إن لم يكن قد تسلّل عبر التّفاسير القديمة التي شبّهت حركة ظاهريّة بحركة ممكنة وليست ضروريّة وهي حركة المسافر المحكوم عليه بالرّجوع مباشرة بعد الوصول. فما هو مستقرّ الشمس الذي يقترحه «كزابر»؟

إنّ مستقرات «كزابر» لا ثبات فيها ولا سكون كما سنتبين من خلال عرض مقولاته حولها فضلا عن اسقاطه للمعنى الثّاني المحيل على البرودة. ينطلق الكاتب من أنّ الشّمس تدور حول مركز المجرّة في حركة صعود ونزول بالنّسبة لمستوى قرصها وهذه حقيقة علميّة. ثم يسمّي مواضع عبورها خلال مستوى القرص مستقرّات وهو ما لا يمكن فهمه. فيكتب: «تجري الشّمس في مسار لها حول المجرّة (درب التبانة) وتتناوب

يرى «كزابر» أنّ للشّمس مستقرّات أي أنّ الآية لا تشير الى مستقرّ واحد بل أكثر وهو ما يذكّرنا بالمستقرّات المتعدّدة الموجودة في التّفاسير القديمة.

بين الصّعود والهبوط كالبندول بالنّسبة لمستوى قرص المجرة أربع مرّات تقريباً في كلّ دورة كبرى كاملة حول المجرّة، تقطعها في 240 مليون سنة، وبما يجعل لها ثماني التقاءات - أو عُقد - بمستوى المجرّة. ونسمّي هذه المواقع الثّمانية للشّمس المستقرّات الكبرى. ويمرّ بين كلّ مستقرّين متتاليين فترة زمنيّة طويلة تصل إلى حوالي 28-30 مليون سنة».

وبما أنّ هناك «مستقرّات كبرى» حسب ما يرى فلا بدّ من «مستقرّات صغرى» وهو ما يقول به كما تشهد به فقرة من مقاله يكتب فيها : « وعبر هذا المسار البندولي للشّمس تتعرّض الشّمس لتشويش الكواكب لحركتها، بما يشبه الجنوح عن المسار يمنة ويسرة، وبما يحرفها عن ذلك المسار لمسافات كبيرة في نفس مستوى الكواكب السّيارة حولها، وتقدّر في أقصاها بحوالي 1.4 مليون كيلومتر. ولكن الشّمس لا تلبث أن تعود لتتّزن بين الكواكب في ذلك المسار الأول عينه» ويضيف « وقد علمنا مواعيد تلك العودة للمسار المستقر للشّمس على مدار 6000 آلاف سنة، وكان الموعد الفائت سنة 1990-1991 ونعلم أنّ الموعد التالي للتطابق التام مع المستقر هو سنة 2169، غير أنّها ستقترب من المستقر كثيراً على فترات أقرب، منها سنة 2030 لحدٍّ ما، وسنة 2130 لحدٍّ كبير.... وعلى ذلك نسمي هذه المواضع التي تعود فيها الشّمس لتتّزن بين الكواكب عبر مسارها في المجرّة، وأزمانها المشار إليها، بالمستقرّات القريبة للشّمس. ولا يمتنع أن يكون للشّمس مستقرّات قريبة ومستقرّات بعيدة».

لقد نقلت حرفيّا ما كتب حرصا على عدم تحريف المعنى الذي ذهب اليه. فـ «المستقرات الصّغرى» عنده هي حالة توازن ثقالي بين الشّمس والكواكب تجدها الشّمس في جريانها عندما تقطع ما يسمّيه «مسارا مستقرّا» وهو المسار البندولي حول مركز المجرّة. إنّ القول بأنّ الموضع الذي يتحقّق فيه التّوازن الثّقالي للشّمس مع ما يدور حولها من كواكب يمثل مستقرّا ليس له أيّ علاقة بالاستقرار وما يعنيه من ثبات وتمكّن بالنّسبة لمرجع معين. وحتّى ما يقول أنّه «مسار مستقرّ» فهو مسار افتراضي لا وجود له. فالشّمس منذ خلقها الله وهي محاطة بأجرام تؤثّر في اتجاه حركتها ولم يكن لها يوما مسار مستقر أصلا بمعنى مسار تكون فيه على الدّوام في توازن ثقالي كما يقول الكاتب.

إنّ اعتبار « مواضع مرور الشّمس في قرص المجرّة مستقرّات للشّمس تجري لها، وكلّما أتتها تجاوزتها وواصلت مسيرها» من دون أن تقف فيها ولو لحظة واعتبار تقاطع خطّ سيرها مع «مسار مستقرّ» مفترض مستقرّات من دون أن يكون للشّمس فيها أي وقفة، يعني أنّ كاتب المقال لا يرى الطّبيعة كما هي بل يفرض عليها حالات لم ولن تتحقّق يعتبرها حالات استقرار تجري اليها الشّمس من دون أن تدركها. فالآية تقول أنّ الشّمس تجري لمستقرّ لها و«كزابر» يقول أنّ الشّمس تجري بدون جدوى الى مستقرّات افتراضيّة لم ولن

إنّ الكلام في الحركة يتطلّب تعيين مرجع تتحدّد وفقه طبيعتها وهذا من أبجديات الفيزياء سواء التّقليدية القائمة على نظريّة «نيوتن» أو النّسبية القائمة على نظرية «اينشتين»

توجد يوما. تقتضي الدّراسة العلمية لظاهرة الحركة مرجعا تتحدّد بالنسبة اليه وهو ما لا يشير اليه بتاتا فيما اقترح «كزابر» من تفسير لآية المستقر.

هذا ما يمكن أن يصل اليه من يبتعد عن المنهج العلمي ويستعمل الكلام في غير معناه الذي وضع له أصلا. إنّ الكلام في الحركة يتطلّب كما سبق أن أشرنا تعيين مرجع تتحدّد وفقه طبيعتها وهذا من أبجديات الفيزياء سواء التّقليدية القائمة على نظريّة «نيوتن» أو النّسبية القائمة على نظرية «اينشتين». كما أنّ كل شيء متحرّك في هذا الوجود الممكن التّفاعل معه بالمنهج العلمي القائم على بناء النّظريات وابتكار الوسائل للقيس والتّثبت بالتّجربة ممّا نتصوّر أنّه موجود. فما عساه أن يكون مستقر الشّمس بمعنى موضع الثّبات والسّكون وما يصاحب ذلك من برودة والحال أنّ الكلّ يتحرّك بالنّسبة للكلّ في هذا الكون المرئي؟ هذا ما سنسعى الى استكشافه في الجزء الثالث من هذا البحث ملتزمين في ذلك بما يقتضيه اللّسان العربي من معان أصلية لمادّة (ق ر) وآخر ما توصّل اليه العلم من حقائق تتعلّق بحركة النّجوم -والشّمس نجم -والوسط الذي تتحرّك فيه. والله المعين.

الهوامش

[1] السّنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة 300 ألف كلم في الثانية وذلك خلال سنة أي حوالي 10 آلاف مليار كلم.

[2] موقع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-06-2005

[3] هذا المقال هو الجزء الثاني من دراسة في جزءين تناول فيها الكاتب ظاهرة جريان الشّمس ومدلول المستقرّ الذي تجري له. الجزء الأول من هذه الدراسة كان بعنوان «مستقر الشّمس: التّهافت الإعجازي»

محمد أمين هبيري
«طالب حقوق ومدون»
hbiriamine96@gmail.com

القرآن، مرجعية الأمة لاستئناف دورها الحضاري

لو نظرنا في القرآن لوجدنا فيه السّنن الكونيّة التي تعدّ المبادئ العلميّة وأهمّها الرّياضيات وعلوم الأحياء والعلوم الطّبيعية -أعني بذلك الإنسانية – وأهمّها التّاريخ والعلوم السّياسية التي تتحكّم في سير النّظام الكوني بصفة عامّة. وبذلك فالقرآن الكريم يضمّ علوما متنوّعة. ولكن أليس من البدعة أن نصف القرآن الكريم بأنّه مجمع علميّ؟، فالثّابت أنّ العلم يملك تاريخا، فيه بداية ثمّ تطوّر كأصناف العلوم المختلفة.

حين نقول بأنّ القرآن علم فإنّنا ضمنيّا قد أقررنا أنّ للقرآن بداية وعندها نخوض في ما خاضه المعتزلة ومختلف الفرق التي قالت أنّ القرآن مخلوق من مخلوقات الله وتلك الجدليّة التي أوقعت المعتصم وأصحابه في الخوض في أمور غيبيّة نهى القرآن الكريم عن الخوض فيها أصلا وذلك مخافة الوقوع في الفتنة إثر تأويل المتشابه فيه وهو ما نصّ عليه القرآن الكريم في قول الله عزّ وجلّ: « هوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ» (1)

استنادا لهذا المبدأ القرآني، فإنّ الخوض في أمور الغيب يجرّنا إلى نفي العقل المجرّد نتيجة محدوديته في توصيف الأمور وبدلا عنه نقتفي أثر النّقل (قرآن وسنّة) في تحديد الأمور الغيبيّة كالجنّة والنّار. أمّا ما سكت عنه فلا يمكن الخوض فيه لعدم قدرة العقل وصف المحجوب عنه. ما يستنتج إذا أنّ القرآن موضع علم لا علم بحدّ ذاته، ولو كان كذلك فما حاجة الله للعبادة؟ بمعنى الجهد والاجتهاد الانساني لتعمير الأرض بقيم الاستخلاف.

لقد نهى القرآن عن الخوض في المسائل الغيبيّة، لكنّه أكّد وحثّ على البحث العلمي في جميع الاختصاصات علميّة وطبيعيّة وبعبارة النّص القرآني «الآفاق والأنفس» وذلك بمقتضى قوله تعالى « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»(2). وقد أشاد الدّين الإسلامي بدور العلماء في نهضة الأمّة وفتح الطريق أمامها لتستأنف دورها الحضاري وذلك من خلال أبحاثهم وأفكارهم التي تنير درب العامّة.

إنّ القرآن معجز، لا في إعجازه البلاغي أو العلمي أو التشريعي فقط، بل بكونه تذكيرا للإنسانيّة بمقومات

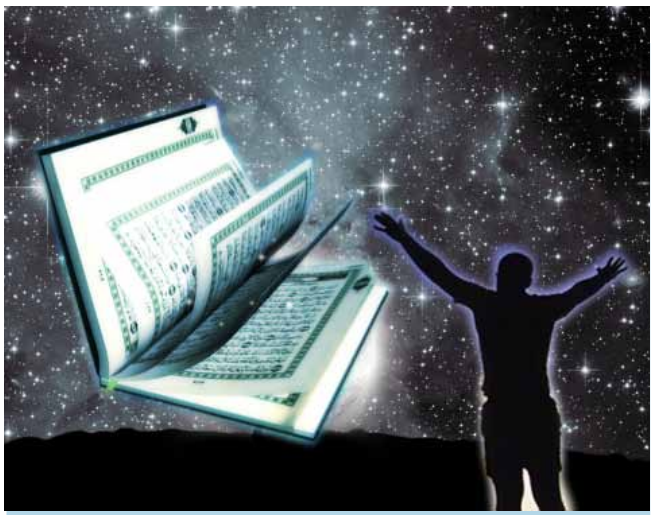

لقد نهى القرآن عن الخوض في المسائل الغيبيّة، لكنّه أكّد وحثّ على البحث العلمي في «الآفاق والأنفس» بعبارة النّص القرآني.

كيانها الطّبيعي والتّاريخي أو المادي والرّوحي. فهو يعتبر الإنسان مسؤولا كفرد وحرّا من الوسيط (علاقة مباشرة بربك) ومن كلّ وصي (علاقة مباشرة بأمرك) وهي ثورة الإسلام الرّوحية ابتداء والسّياسية انتهاء. كما يذهب إلى حدّ اعتبارك حرّا في أن تؤمن به أو تكفر. وهذا كلّه يندرج ضمن سياق الأمانة المعروضة على الإنسان. [3]

لو كانت وظيفة القرآن، أن يغني الإنسان عن الاجتهاد لاكتشاف شروط الاستعمار في الأرض (بتوفر شرطيّ العلم بقوانين الطّبيعة وسنن التاريخ) بقيم الاستخلاف فيها (بتوفّر شرطي أخلاق التّعامل مع الطّبيعة والتّاريخ والجانب الرّوحي المتمثل في العبادات) والجهاد لتحقيقها لكان ذلك يعني أنّ التّكليف بات أمرا لا معنى له، إذ يكفي أن يحفظ الإنسان القرآن حتّى يكون قد أدى الأمانة ولا معنى لحسابه عن اجتهاده وجهاده وهذا لا يقرّ به إلاّ جاهل بحكمة الله في خلق الإنسان.

وهنا بالذات يظهر البون الشّاسع بين مفهومين أساسيّين بين ما يسمّى بالديّاني (الذي يتمسّك حرفيّا بالنّص القرآني دون جهد في تفسيره) وما يسمّى بالائتماني (الذي ينظر في الأحكام الفقهيّة المنصوص عليها في القرآن فيشرّع بدوره أحكاما توصل إلى تحقيق نفس الهدف المنشود من الآيات)[4] وبذلك نسعى لفهم مقاصد القرآن الكريم باعتباره تشريعا لتشريع الإنسان لقوانينه وليس تشريعا لقوانين الإنسان والفرق بيّن[5] ونعني بتشريع القرآن لتشريع الإنسان، أنّ القرآن حدّد الخطوط العريضة التي لا يمكن لأحد تجاوزها، كما أنّه حدّد مفهوم الحقوق والحرّيات التي هي من فطرة الإنسان وطبيعته الجوهريّة. إلاّ أنّه لم يشرّع كلّ وضعية على حده وأوكل ذلك الأمر إلى الإنسان. فمن يقول مثلا «إن القرآن دستور للدولة» فكلامه مردود عليه، ذلك أنّ النّبي محمد عليه الصّلاة والسّلام قد كتب دستورا –وضعيّا- حين اتّخذ من المدينة دولة له.

إنّ مضمون الرّسالة الخاتمة (القرآن الكريم) هي استراتيجيّة تحقيق الأخوّة الإنسانيّة «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [6] بمعيار وحيد هو المساواة أمام القانون ولا تمييز بين العباد عند الله إلاّ بالتّقوى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [7]

والتّقوى هي القانون الذي ينظّم العلاقات الاجتماعيّة، فيحرّم ارتكاب المحظورات التي تشكّل تهديدا لسلامة المجتمع ولأمنه العام ويحثّ على مكارم الأخلاق والتقيّد بها حتّى ينتقل المجتمع من الحيوانيّة (قانون

الغاب) إلى البشريّة (المدينة الفاضلة التي دعى لها جميع الفلاسفة) وكلّما كان الإنسان يجتهد في تزكية نفسه واتّباع المسموح (الفطرة) واجتناب المحظور (النّكوص إلى الحيوانيّة) فقد اهتدى إلى سواء الصّراط.

ما يشير إليه القرآن في آياته، إذن، هو الموقف العلمي من المسائل العلميّة التي هي قيد البحث والموقف الفلسفي من المسائل الفلسفيّة في حدود المحكم من الكتاب لتجنّب الخوض في الغيب بغير علم. ومحاولة النّظر في الآيات باستعمال منهجيّة الشكّ الغزاليّة (الشكّ المؤدّي لليقين بالمعارف الدّينية) وبذلك تكون وظيفة القرآن جعل الإنسان يصل إلى المضمون العلمي فيتحرّر من الزّيغ الفكري وذلك لا يكون إلاّ باستعمال النّقل والعقل معا.

لا خلاف أنّنا نؤمن بأنّ المرجعيّة صالحة لكلّ زمان ومكان، إلاّ أنّ التكلّس في تفسير النّص الدّيني (تفسيرا لغويّا فقط) أو حتىّ التّفلسف في تفسيره وتأويل آياته عن جهل بالغيب لهو من الموبقات الفكريّة التي تجعل الأمّة الإسلاميّة قابعة في أدنى المراتب في العصر الحديث، فلا أمّة ترقى إلى سلم الحضارة دون رقيّ فكري. فإهمال إنتاج الفكر يعدّ من الأسباب الرّئيسية في تأخّرنا الثّقافي والقيمي. فمن ذا الذي ينفض غبار المعرفة بالحدود المنصوص عليها في الآية 7 من آل عمران نهيا والآية 53 من فصّلت أمرا ؟

الهوامش

[1] سورة آل عمران - الآية 7

[2] سورة فصلت - الآية 53

[3] راجع مقال إعادة البناء لشروط لشروط الاستعمار في الأرض بقيم الاستخلاف لأبي يعرب المرزوقي -الموقع الرسمي لأبي يعرب المرزوقي https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com

[4] راجع «كتاب روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية» للفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن

[5] راجع مقال الإسلام أو العلاقة بين الطبائع والشرائع لأبي يعرب المرزوقي -الموقع الرسمي لأبي يعرب المرزوقي https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com

[6] سورة النساء - الآية 1

[7] سورة الحجرات - الآية 13

يشير القرآن في آياته إلى الموقف العلمي من المسائل العلميّة التي هي قيد البحث والموقف الفلسفي من المسائل الفلسفيّة في حدود المحكم من الكتاب لتجنّب الخوض في الغيب بغير علم.

حتّى

لا ننسى

سقوط بغداد

- 9 أبريل 2003 -

د. سعيد السلماني
«أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي - المغرب»
selmanisaid2015@gmail.com

بهدوء

هل القيادة ذكر أم أنثى؟

تمهيد

إنّ موضوع القيادة من المواضيع المهمّة في القرن الواحد والعشرين لكون المجتمعات الإنسانيّة اليوم أصبحت أكثر تنظيما من ذي قبل، وتتجلّى هذه الأهمّية في مجالات متعدّدة، فالقيادة ضروريّة في كافّة مجالات الحياة المختلفة، وكلّما ازداد عدد النّاس ألحّت الضّرورة على وجود قائد قادر على تولّي أمور هؤلاء النّاس بأعدادهم الكبيرة هذه، فالأمر ليس سهلاً، ويحتاج إلى مواصفاتٍ عالية ومتميّزة لا تتوافر عند النّاس كلّهم؛ كالقدرة على التّفكير العقلاني وطرح أفكار نيّرة ومبدعة خدمة للصّالح العام، بالإضافة إلى القدرة على إيجاد الحلول الإبداعيّة لكافّة المشاكل التي قد تعترض طريقه، عدا عن الأمانة، والصّدق، والإخلاص في العمل، وغيرها من الصّفات الأخرى الهامّة والتي إن توفّرت في شخص معيّن أطلق عليه لقب القائد.

سنحاول معالجة الموضوع من خلال ثلاثة إشكالات تعترض سبيل كلّ باحث في القيادة ومفهوماتها، هل القيادة فطريّة أم مكتسبة؟ وهل هناك ارتباط بين القيادة والجنس ذكر/ أنثى؟ ولماذا الرّموز النّسائيّة القياديّة عبر التّاريخ قليلات؟ أهو مشكل في النّساء أم في الرّجال؟

1 ـ تعريف القيادة وأنواعها:

ما هي القيادة؟

اختلف العلماء في تعريف القيادة على أكثر من 200 تعريف، الاّ أنّي سأقتصر على تعريف واحد للدّكتور طارق السويدان إذ يقول «القيادة هي القدرة على تحريك النّاس نحو الهدف». يتبيّن من خلال هذا التّعريف أنّ القيادة «قدرة»، وهنا يبرز إشكال أوّل وهو هل القيادة فطريّة أم مكتسبة؟

اختلف العلماء المسلمون وغيرهم حول هذا، منهم من يقول بالاكتساب وآخر بالفطرة، فأحد أبرز علماء القيادة «بيتر دريكر» يقول «القيادة تسطيع أن تتعلّمها ويجب أن تتعلمها». أمّا « بينز» رئيس مركز إعداد القادة في جامعة جنوب كاليفورنيا ومؤلف لعدّة كتب منها «حول القيادة» وهو أكثر من درس موضوع القيادة بعمق يقول «القيادة شخصيّة وحكمة وهذان أمران لا يمكن تعلّمهما».

إذن هل يمكن أن نتعلّم القيادة؟ خلاصة القول في ذلك؛ لو أخذنا بعض الصّفات مثل الكرم والبخل نجد بأنّ هناك بعض النّاس كرماء بالفطرة مثل «حاتم الطّائي» وآخرون بخلاء بالفطرة مثل «أبو سفيان» هذا الأخير كانت زوجته تسرق منه حتّى تطعم أولادها. هذا ما دفع الدّكتور «طارق السويدان» الى القول: أنّ

إنّ القانون الأول من القيادة أن يكون للقائد أتباع وليس كلّ الأتباع، فمن السّهل أن تشتري ظهور النّاس ولكن من الصّعب أن تشتري قلوب النّاس

معظم النّاس هم في الوسط إذ نجد منهم 2 % كرماء ومثلهم بخلاء بالفطرة، أما 96 % فهم حسب البيئة والتّربية التي يتلقونها. وهذا يسري على صفة الذّكاء، فهناك أناس أذكياء بالفطرة ذكاء غير عادي ومنهم أغبياء بالفطرة. ومعظم النّاس في الوسط، ولهذا أثبتت الدّراسات أنّ الذّكاء وراثي وتؤكّد أنّه يتبع الأمّ أكثر من الأب.

إذن، 2 % عندهم ذكاء أكثر من العادي. 2 % عندهم ذكاء أقل من المتوسّط و96 % هم في الوسط.

نفس الشيء في القيادة، 2 % هم قادة بالفطرة، فهؤلاء لا يمكن الاّ أن يكونوا قادة، مثل خالد بن الوليد وعمر بن العاص. و2 % لا يصلحون للقيادة ولو أرادوا ذلك ولا يمكنهم أن يتعلّموها. و96 % هم في الوسط حسب البيئة والتّربية.

ثمّ إنّ القائد له اتباع يحرّكهم. يقول «بلانك» أحد علماء القيادة: «إنّ القانون الأول من القيادة أن يكون للقائد أتباع وليس كلّ الأتباع، فمن السّهل أن تشتري ظهور النّاس ولكن من الصّعب أن تشتري قلوب النّاس، وهناك فرق كبير بين الأتباع والمعجبين والحلفاء».

ثمّ إنّ القيادة هي تحريك النّاس نحو الهدف وهذا الأخير ليس بالضّرورة أن يكون جيّدا ما دام النّاس مستعدّون لتتّبعك فأنت قائد، كيفما كان هذا الهدف. يتّبع النّاس خوفا أو رهبا أو حمقا أو استخفافا بالعقول. ليس كلّ القادة جيّدين لكنّهم قادة، «فرعون»مثلا .

بعض أنواع القيادات:

1-القيادة الدّيموقراطيّة: تتميّز بالمشاركة والثّقة المتبادلة وكلّ فرد فيها يشعر بالمسؤوليّة في جوّ من الاحترام المتبادل.

2- القيادة الدّيكتاتوريّة: تتميّز بالاستبداد والتّسلّطيّة وتحديد النّشاطات والقرارات من طرف واحد وإعطاء الأوامر وغياب الثّقة بين القائد وأعضاء الجماعة.

3-القيادة الفوضويّة: تتميّز بالحرّية المطلقة، إذ يكون القائد فيها محايدا ولا يتدخّل الاّ نادرا وهي أقلّ من الدّيموقراطيّة وأحسن من الدّيكتاتوريّة.

علامات القائد:

من أهم علامات القائد: (ا) الذّكاء و(ب) المبادرة و(ج) الشّجاعة أو الجرأة و(د) التّوازن و(ه) البيئة القياديّة

ينطلق السويدان من مسلّمة أساسيّة وهي أنّ القيادة مكتسبة ويمكن تعلّمها وأول فرصة لصنع القادة هي السّنين السّبع الأولى من حياة الطّفل، فكلّ أصول الأخلاق وأصول الشّخصية تتشكّل في هذه السّنين وما بعدها هو تنمية وتفصيل. إنّ هذه السّنين أحسن فترة لصنع القادة.

انطلاقا من هذه المسلّمة نفهم لماذا تنبني الرّسوم المتحرّكة الغربيّة على الجنس والعنف والسّحر، فقد أثبتت بعض الدّراسات أن 52 % من مشاهد الجنس و34 % من مشاهد العنف في التليفزيون هي في تلك الفترة.

وخلاصة القول أنّ القيادة تُقتل بالإهمال والقمع والتّدليع الزّائد عن المطلوب وتنمّى بتنمية العلامات الخمس السّابق ذكرها.

الصفات الخمس للقائد النموذجي:

في دراسة تفصيليّة قام بها «kouses and posner» لمدّة 25 عاما شملت مليون ونصف شخص في القارّات السّت جزء منها شمل الشّرق الأوسط، وهي من أندر الدّراسات في هذا الموضوع نظرا لأهمّيتها، ونشرت في 6 كتب. وتمّ التّركيز فيها على 5 صفات للقائد النّموذجي وتمّت مراجعة هذه الصّفات على مدى سنين طويلة ولم تتغيّر، وأسفرت عن نفس النّتائج. وقبل الحديث عن الصّفات الخمس تساءل الباحثان عن الصّفة الأهمّ التي يتطلّع إليها النّاس في القائد، فكانت الإجابة كالتالي:

(أ) المصداقيّة والآمانة، (ب) الرؤية، (ج) الالهام، (د) الكفاءة و(ه) الذّكاء.

هذا ولم يقتصر الباحثان على العامّة فقط فقد قاما بدراسة سألوا فيها المختصّين فأجاب 1500 مدير عن أهمّ صفات القائد فأعطوا 225 صفة أهمّها على الإطلاق «المصداقيّة». إذن ماهي الصّفات الخمس للقائد النّموذجي؟

هناك خمس صفات سلوكيّة يمارسها القائد تنبني عليها عشر ممارسات:

(1) **كن نموذجا** وينبني على هذه الصفة أمران: أن يكون لديه قيم واضحة وأن يكون قدوة في ممارسة هذه القيم.

(2) **الرؤية الواضحة** وتنبني على هذه الصّفة أمران: القدرة على تخيّل المستقبل والمشاركة.

(3) **أن يتحدى الواقع**، فمن المواقف التي عليها شبه إجماع أنّ القائد يستطيع أن يعمل في الغموض، بمعنى أنّه يبحث عن الفرص في وقت المخاطر وينبني على هذا عنصران: البحث عن الفرص والمخاطرة والمغامرة.

(4) **مكّن الآخرين**، بمعنى أن تركّز على نقاط القوّة لديك وأن تبحث عن المساندة في نقاط الضّعف عندك وذلك من خلال إحاطة نفسك بقادة ليكملوا نقصك فالمثل يقول: «إذا كنت دائما توافق رئيسك فأحدكما لا حاجة

يستطيع القائد أن يعمل في الغموض، بمعنى أنّه يبحث عن الفرص في وقت المخاطر وينبني على هذا عنصران: البحث عن الفرص والمخاطرة والمغامرة.

به». فالقائد الفعّال هو الذي يمكّن الآخرين فيما لا يعلم. وتنبني على هذه الصّفة ممارستان: تنمية التّعاون وإعطاء الصّلاحيات.

يقول الدكتور «السويدان» في هذا الصدّد: «لدينا في العالم العربي ظاهرة أصبحت مستفحلة وهو عندما يتقلّد شخص ما منصبا معيّنا سواء أكان ذلك منصبا عاليّا جدّا أو في المجتمع المدني أو غير ذلك فإنّه يصبح مملكته الخاصّة، في حين أنّ هناك قانونا إداريّا عامّا يقول: « لا يجب أن يستمرّ شخص ما في العمل أكثر من 8 سنوات» وذلك لأسباب نذكر منها:

- حتّى إذا استطاع العطاء في هذه السّنوات استفاد منه مكان آخر
- وإذا لم يستطع العطاء في هذه الثّماني سنوات فمن الأفضل تغييره.
- ثم حتى لا تصير هذه المناصب ممالك.

(5) **شجّع القلوب** ولهذه الصّفة أيضا عنصران: كافئ المساهمات الفردية واحتفل بالنّجاحات الجماعيّة

(2) هل هناك ارتباط بين القيادة والجنس؟

أثبت علم الإدارة الحديث بأن ليس هناك ارتباط بين القيادة والعلم أو السّن أو التّقوى وعدمها، سُئل الإمام أحمد يوما أنقاتل مع القوي الفاجر أم مع التّقي الضّعيف؟ فقال: «قاتلوا مع القويّ الفاجر لأنّ فجره لنفسه وقوّته للنّاس...». كما أنّه لا يوجد ارتباط بين القيادة والجنس، كما يؤكّد على ذلك الدّكتور السّويدان ويسترسل في توضيح هذه الإشكالية بالقول: إنّ المرأة في العالم كلّه مظلومة وليس في العالم المتخلّف فقط ففي أمريكا أُنجزت إحصائيّة عن الرّواتب فوجدوا أنّ رواتب النّساء في المتوسط العام هو 71 % من رواتب الرّجال، وذكرت الدّراسة بأنّ نسبة النّساء اللواتي وصلن الى المراتب العليا هي أقلّ من 1 % وذكرت أيضا أنّ من مجموع 550 جائزة «نوبل» الممنوحة منذ عام 1898 حتى عام 2000 لم تحصل النّساء سوى على 11 جائزة منها.

هناك في علم الإدارة ما يسمّى «بالسّقف الزّجاجي» فنادرا ما تكسّره المرأة والمحرومين بشكل عامّ. هل هناك فرق بين المرأة القياديّة والرّجل القيادي؟ ليس هناك فرق إلاّ في بعض المسائل، بل المرأة أقدر في التّسيير نظرا لمميّزاتها القياديّة نذكر من بينها:

- الرّجل القيادي يعمل بدرجات متفاوتة من الجهد وبدون انقطاع، بينما المرأة القياديّة تعمل بدرجة واحدة من الجهد تتخلّلها فترات راحة قصيرة تجدّد نشاطها وتعود وهذا أفضل قياديّا.
- الرّجل القيادي يرتبط بعمله بشكل كبير بينما المرأة القياديّة توازن في عملها وهذا أفضل قياديّا.

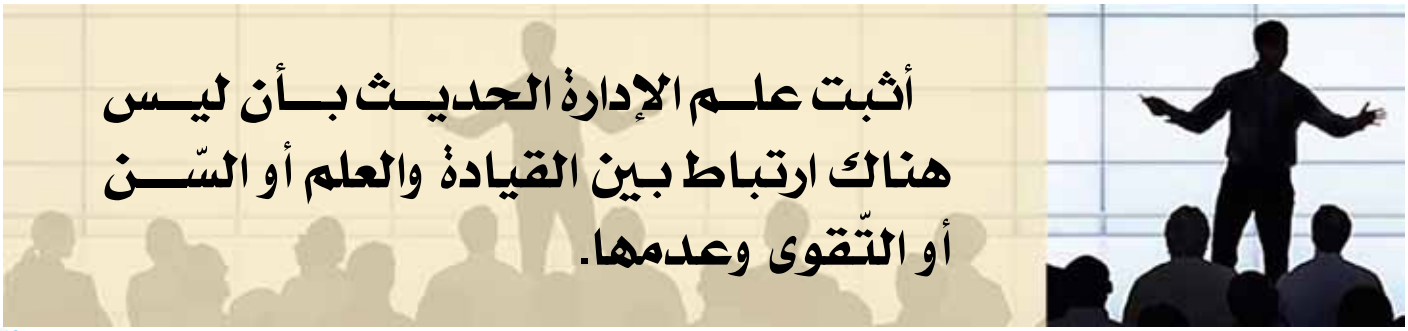

ـ الرجل القيادي يميل الى السّرعة في اتخاذ القرار، بينما المرأة القياديّة تميل الى البطء في ذلك وهذا أفضل قياديّا.

ـ الرّجل القيادي يحبّ أن يشاور قليلا ثمّ يتّخذ القرار بينما المرأة القياديّة تشاور كثيرا قبل اتخاذ القرار وهذا أفضل قياديّا.

(3) لماذا الرّموز النّسائية قليلة عبر التّاريخ؟ أهي مشكلة في النساء أم في الرّجال؟

هذا الامر يرجع لعدة عوامل،أهمها:

ـ **عوامل اجتماعية** أي أنّ العقل الجمعي ترسخ في لا شعوره بأنّ الذكر هو مالك هذا الكون، حتّى أصبح العالم رجولي بامتياز.

ـ**عوامل دينيّة** أي عدم الفهم الصّحيح للدّين.

ـ **عوامل ذاتيّة** إذ يرجع الى عدم فهم المرأة لدورها في المجتمع. بمعنى آخر أنّها فُهِّمت دورها وقبلت به.

ـ **عوامل ثقافية** وهذا راجع الى كتابة التّاريخ فكتابته ذكوريّة وهذا أمر طبيعي أن يتحيّز الذّكر للرّموز الرّجولية ويترك الرّموز النّسائية.

ثمّ إنّ المرأة انشغلت بأمور المنزل والتّربية... كما أنّها أيضا انشغلت بتوافه الأمور، ونسيت أنّها الحصن الحصين في تقدّم الحضارات، بحيث «لا يمكن لحضارة أن تبنى من طرف شخص يقفز على رجل واحدة».

على سبيل الختم

إنّ القيادة مسؤوليّة الجميع وبالإمكان تعلّمها، لذا وجب على الأسرة والمدرسة والمجتمع تعليمها للنشء أنثى/ذكر، حتّى نستعجل نهضة الأمّة. وحتّى تكون قائدا نموذجيّا عليك:

(1) أن تفهم نفسك لتقود الآخرين (2) التّركيز على نقاط القوّة لديك والبحث عن المساندة في نقاط الضّعف، (3) جرّب وأخطِئ وتعلّم من أخطائك، (4) أحِط نفسك بقادة تكن قائدا فعّالا، (5) الرّحمة وصدق الاهتمام هما حقيقة القيادة و(6) الإيمان والقيم هما أساس القيادة.

المراجع المعتمدة

(1) د. طارق السويدان، صناعة القائد .

(2) د حامد ع السلام زهران، علم النفس الاجتماعي

(3) محا ضرة د. طارق السويدان، القيادة والنجاح (youtube.com)

هناك عوامل ثقافية جعلت الرّموز النسائية قليلة عبر التاريخ منها أنّ كتابة التّاريخ ذكوريّة يتحيّز فيها الذّكر للرّموز الرّجولية ويترك الرّموز النّسائية.

حتّى

لا ننسى

15 أفريل 1989

«بداية إعتصام تيانانمن – الصين»

مظاهرات ساحة «تيانانمن» ببكين هي مجموعة من المظاهرات الشعبيّة التي وقعت في جمهورية الصين الشعبية، بين 15 افريل، و4 جوان1989، احتلّ خلالها الطلبة الساحة وطالبوا بالديمقراطية والإصلاح، لكنّ النظام الصّيني قام بقمع الإعتصام وإخلاء السّاحة بالإعتماد على الجيش والعنف المسلّح»

د. محمد ديان
«أستاذ باحث. مديرية أرفود - المغرب»
mohammederfoud@gmail.com

خصائص المعرفة الصوفية
«الجزء الثاني»

تطرقنا في المقال الأول إلى خمس خصائص للمعرفة الصّوفية جعلتها متميّزة ومتفرّدة عن غيرها من المعارف التي تحصل لغير المتصوّفة. ونواصل في هذا المقال (الجزء الثاني والأخير) الحديث عن خاصيتين أخريين وهما ارتكاز المعرفة الصوفية على عدم الفتور عن الذّكر وتوظيف الرّمز خاصّة في الشّعر

سادسا- مرتكزها عدم الفتور عن الذكر

أهمّ قضيّة في المعرفة الصّوفية هي معرفة الله ومحبتّه جلّت قدرته، ومن أحبّ أحدا أكثر من ذكره. جاء عن ذي النّون المصري (ت 245هـ): «الذّكر هو غيبة الذّاكر عن الذّكر»[1]، ولم يقتصر على هذا القول، وإنّما طفق ينشد:

«لا لأنّي أنساك أكثر ذكرا .....ك ولكن بذاك يجري لساني» [2] .

فمن أحبّ الله تعالى مفروض عليه أن يكثر من ذكره باللّسان والجنان والأركان. وعليه، فـ«الذّكر بالقلب هو المطلوب، والجوارح وسيلة إليه، وذكر الله بالقلب لا يحصل إلاّ بعد تطهيره من حبّ الدّنيا والجاه وغير ذلك» [3] ، وأيضا مطلوب منه أن يداوم ويواظب على الذّكر دون أن يفتر، لأنّ «صقالة القلوب ذكر الله، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله» [4]، ولأنّه كذلك معراج روحاني للقرب إلى الله والأنس به، واستحضار عظمته وخشيته في القلب، والمبادرة إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه. وفي هذا الصّدد يقول القشيري (ت 465هـ): «الذّكر ركن قوي في طريق الحقّ سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطّريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلاّ بدوام الذّكر» [5]. ومفهوم الذّكر واسع وشامل، ذلك أنّ «فضيلة الذّكر غير منحصرة في التّسبيح والتّهليل والتّحميد والتّكبير ونحوها، بل كلّ عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى، كذا قاله سعيد ابن جبير رضي الله عنه وغيره من العلماء. وقال عطاء رحمه الله: مجالس الذّكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلّي وتصوم وتنكح وتطلّق وتحجّ، وأشباه هذا» [6]. وحاصل الأمر التّقوى، ولرّبما لهذا الاعتبار فإنّ الصّوفية يرون أنّهم يحصلون من الذّكر على معرفة خاصّة ومحبّة قلبيّة تجعلهم يتنعمون ويتلذّذون في حضرة الذّات الإلهيّة العالية بالأنس والقرب، وحلاوة المناجاة. وفي هذا الشّأن، يقول محمد الواسطي (ت 331هـ) لمّا سئل عن الذّكر: «الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدّة الحبّ» [7] وفي ذات النّقطة أنشد دلف الشّبلي (ت 334هـ) الأبيات التالية:

«ذكرتك لأنّي نسيتك لمحة
وأيسر ما في الذّكر ذكر لساني
وكنت بلا وجد أموت من الهوى
وهام عليّ القلب بالخفقان
فلمّا أراني الوجد أنّك حاضري
شهدتك موجودا بكلّ مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلّم
ولاحظت معلوما بغير عيان»[8]

الذّكر بالقلب هو المطلوب، والجوارح وسيلة إليه، وذكر الله بالقلب لا يحصل إلا بعد تطهيره من حبّ الدّنيا والجاه وغير ذلك.

ويخرج علينا ذو النّون المصري بكلام يتقطّر على القلب شهدا مفاده: «من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كلّ شيء، وحفظ الله عليه كلّ شيء، وكان له عوضا من كلّ شيء» [9].

سابعا- توظيف الرّمز خاصّة في الشّعر:

يخيّل إلى من يقرأ كلام الصّوفية، كأنّه يتعامل مع طلاسم أو ألغاز لا تفكّ شفرتها. وحقّ له هذا الانطباع، لأنّ كلام الصّوفية ترميز وتلميح. وهم يستعملون الرّمز ليبقى أمرهم وسرّهم محفوظا بينهم. وبما أنّ العبارة تضيق عن استيعاب أفكارهم، فإنّهم يلجؤون إلى الإشارة، ثمّ عندما لا تسعها الإشارة يعمدون إلى الرّمز، الذي هو مقارنة مع العبارة والإشارة ألطف وأدقّ وأرقّ لكونه يوغل ويغرق في استعمال المجاز والاستعارة ممّا يخرج العبارة عن حقيقتها اللّغوية. وتوظيف الرّمز حاضر بقوّة في الظّاهرة الشّعرية التي تنقلنا من عالم الماديّات والمحسوسات إلى عالم النّفس والعواطف والمشاعر، ويستثمره بدرجة أعمق وأكبر الشّعر الصّوفي المحلّى بصبغة وجدية، والموشى بإشراقات عرفانيّة روحانيّة، يظهر ذلك في:

(1) المحبة ومعاناتها:

جاء في رسالة من سرى السقطي (ت 253هـ) إلى الجنيد السّالك (ت 297هـ):

«ولمّا ادّعيت الحبّ قالت كَذَبتني.....فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحبّ حتّى يلصق القلب بالحشا..... وتذبل حتّى لا تجيب المناديا
وتنحل حتّى لا يبقي لك الهوى.....سوى مقلة تبكي بها وتناجيا» [10]

وأنشد إبراهيم النّصر آباذي (ت 369هـ):

«ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة.....فإنّي من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شيء لُمته من وصلها.....أماني لم تصدُق كلمحة بارق» [11]

إنّ الأبيات تنمّ عمّا يحسّ به المحبّ إزاء محبوبته ومعشوقته من كلف وهيام تصحبه معاناة وتوجع وتفجع. وهذه ضريبة الحبّ الباهظة، «فالمحبّة نار حطبها أكباد المحبّين» [12] .

وكذلك المحبّ لله تعالى يكاد يحترق شوقا إليه، فيملأ عليه الحبّ الإلهي الأركان والجنان، والجوانح والجوارح، فيعمل على مجاهدة النّفس ورياضتها حتّى يصل إلى حقيقة محبّة الله تعالى، حيث كلّ شيء في سبيلها يهون.

(2) السّكر من شدّة المحبّة:

لقد تناول الصّوفية هذه النّقطة كثيرا في أشعارهم، ولصعوبة حصر كلّ ما ورد عنهم في ذلك، سأكتفي بنموذجين. فها هو أبو علي الدّقاق أستاذ القشيري يفشي سرّه، ويطلعنا على ما فعلت به المحبّة من خلال بيت شعري طالما تغنّى به:

«لي سكرتان وللندمان واحدة.....شيء خصصت به من بينهم وحدي» [13] .

وفي الموضوع ذاته، يمتعنا أبو مدين (ت594هـ) ببيتين شعريين يكشفان عن أسلوب صوفي مفعم بالعواطف المشبوبة والأحاسيس الرقيقة رقة ما ترمزان إليه:

«تقول أناس قد تملكه الهوى.....أجل لست في ليلى بأول من جنا

خفيت بها عن كل علم الورى.....وأظهر لبنى والمراد سوى لبنى» [14]

الأبيات لها حمولة من العواطف الجيّاشة التي تفور فورانا، بسبب المعاناة التي يكابدها المحبّ خصوصا عندما ينشب الحبّ مخالبه في شغاف القلب، فلا يملك المحبّ حولا ولا طولا إلاّ أن يستسلم لقدره، إذ في زعم بعض الصّوفية «من أحبّ النّساء على هذا الحدّ فهو حبّ إلهي» [15]. والحقيقة أنّه لا دليل من الشّرع على هذا التّقوّل والتّخرّص.

وبالرّجوع إلى ما رشح عن الشّاعرين من أبيات، يظهر أنّها ترمز بالحبّ الذي أفصحا عنه إلى الحبّ الإلهي الذي يشغل المرء عن كلّ شاغل، ويجعله يفقد الإحساس بالذّات، ناهيك عن غيرها. والغريب العجيب أنّ المحبّ يستعذب معاناة الحبّ وسكره فيصير كلّ ذلك لديه نشوة وحلاوة وسعادة، وإذا كان هذا حال المحبّ للمخلوق، فما بالك بحبّ الخالق؟ الأمر سيكون طبعا أكثر وأشدّ، ذلك أنّ «نعيم المحب [16] في الدّنيا رقيقة ولطيفة من نعيم الجنّة في الآخرة، بل هو جنّة الدّنيا. فما طابت الدّنيا إلاّ بمعرفته [17] ومحبّته، ولا الجنّة إلاّ برؤيته ومشاهدته، فنعيم المحبّة دائم وإن مزج بالآلام أحيانا. فلو عرف المشغولون بغير الحقّ سبحانه ما فيه أهل محبّته وذكره ومعرفته من النّعيم، لتقطعت قلوبهم حسرات، ولعلموا أنّ الذي حصلوه لا نسبة له إلى ما

يخيّل إلى من يقرأ كلام الصّوفية، كأنّه يتعامل مع طلاسم أو ألغاز لا تفكّ شفرتها. وحقّ له هذا الانطباع، لأنّ كلام الصّوفية ترميز وتلميح.

ضيعوه وحرموه» [18] .

إن الإغراق في حبّ الله تعالى نعيم مقيم، وسعادة غامرة ولذّة روحيّة لا يعيشها ولا يتقلّب في أحضانها وبحبحتها إلاّ من غمر الله سبحانه قلوبهم بشهد محبّته.

(3) الجمال والحسن:

الإنسان مجبول ومفطور على حبّ الجمال بكلّ أشالكه، ولاغرو إذا ألفينا الشّعراء قد تغنّوا بالجمال وأفردوا له قصائد، لكنّ أكثر ما تغنّوا به هو جمال المرّأة لما وهبها الله من الجمال والبهاء والرّقة والعذوبة. وعلى الخطّ نفسه سار المتصوّفة، فجادت قرائحهم بروائع أطارت الألباب، كما أبانت عن ذوق رفيع وإحساس رهيف كان وقوده في ذلك – إذا صحّ التعبير- الكلف والهيام والغرام. ولنأخذ نموذجا ابن الفارض(ت 632هـ) من خلال تائيته الكبرى:

«ووصف كمال فيك أحسنُ صورة.....وأقومُها في الخلق منه استمـــــدت
ونعت جـــلال منك يعذُب دونـــــه.....عذابي، وتحلو عنده لي قتلتـــــــي
وسر جمـــال عنك كل ملاحـــــة.....به ظهرت في العالميـــــن وتمـت
وحسن به تسبـــى النهـــى دلنـــــي.....على هوى حسنت فيه لعزك ذلتـــي
ومعنى وراء الحسن فيك شهدتـــه.....به دق عـــن إدراك عين بصيـــرة
لأنت منى قلبي وغاية بغيتـــــــي.....وأقصى مرادي واختياري وخيرتي» [19]

أبيات تفيض بعاطفة صادقة في وصف وتوصيف جمال المرأة. والحقّ يقال: إنّ ما كتبه ابن الفارض في الغزل الصّوفي يعدّ في رأي ثلّة من الباحثين: «أرقى وأسمى ما وصل إليه الغزل الصّوفي العربي من دقّة الوصف ورقّة الشّعور وخفة الرّوح» [20]. والمحبّ الولهان «إذا تحقّق في مقام وجد الموجود، وظهرت عليه آثار الشّهود، يشهد محبوبه في سائر الذّوات، وصفاته مع سائر الصفات»[21]. هذا هو المصرّح به في الأبيات، لكنّ المرموز إليه هو الذّات الإلهيّة التي جمعت ووعت كلّ جمال، لأنّه كما هو معلوم في عرف الصّوفيّة: «الحسن هو الكمالات المجتمعة في ذات واحدة، ولا يكون ذلك إلاّ للحقّ تعالى»[22]. وأنّه أيضا «لا يسمّى الجمال المبدع جمالا إلاّ من حيث النّظر إلى موجده، وأمّا بالنظر إلى ذاته فهو مجاز محض»[23].

(4) التجلّي:

الصّوفيّة من منطلق اعتمادهم التّلميح دون التّصريح، قد تغنّوا في أشعارهم بكلّ تجلّيات الجمال حيثما كان وكيفما كان، لكنّ تغنّيهم بجمال الأنثى كان أشدّ وأكثر وأبرز باعتباره - في نظرهم - معراجا إلى الجمال

إن الإغراق في حب الله تعالى نعيم مقيم، وسعادة غامرة ولذة روحية لا يعيشها ولا يتقلب في أحضانها وبحبحتها إلا من غمر الله سبحانه قلوبهم بشهد محبته

الإلهي وتجلّيا له. والنّموذج دائما ما رشح عن ابن الفارض في تائيته المشهورة

«فكل حُسن حسنُه من جمالهـــا.....مُعار لـه بل حُسن كـل مليحـــة
بها قيس لبنى هام بل كل عاشـق.....كمجنون ليلى أو كثيّر عَـــزة
وتظهر للعشاق في كل مظهـــر.....من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لبنـــى وأخرى بثينـةَ.....وآونة تدعـــى بعـــزة عـــزت
وما القوم غيري في هواها وإنما.....ظهرتُ لهم للبس في كل هيئـــة
ففي مرة قيسا وأخـــرى كثيّـــرا.....وآونة أبدو جميل... بثينـــــــة» (24)

ومما يعلم عن بعض الصوفية «الصورة الجميلة المحسوسة المشاهدة على الأرض، إنّما تفيض عن جمال الذّات الإلهيّة، ويستغرقون في تأمّل هذه الصّورة الجزئيّة لا إعجابا بها، بل لأنّها تدلّ على جمال الحقيقة الإلهية، وتشير إليها» (25) .

إنّ الصّوفيّة من خلال ممارستهم وسلوكهم الصّوفي قد تتولّد وتنشأ لديهم معرفة خاصّة بصبغة خاصّة، وذوق خاصّ لا يطعمه إلّا الخاصّة من الخاصّة. وهم يعنون بذلك –طبعا- أنفسهم ومن أراد أن يتذوّق أو يتحقّق، فما عليه إلاّ سلك طريق وطريقة هؤلاء الذين حاولوا جاهدين تصفية وتنقية وتخلية أنفسهم من أدران المعاصي، وتحليتها وتزكيتها بكلّ ألوان الطّاعة حتّى وصل بهم الأمر إلى التّورع عن المبيحات لعلّهم يحظون بالقربة والاصطفاء من قبل الله عزّ وجل، فتنهال عليهم المعارف والعلوم وابلا صيبا وغيثا نافعا طيّبا، فتروي ظمأهم الرّوحي وتشفي غليلهم الذّوقي والوجدي الذي يبني ويؤسّس لمعرفة صوفيّة تتميز بالخصائص التّالية:

- اعتبارها لبّ العلم وجوهره.
- تجاوزها العقل دون أن تلغيه أو تنفيه.
- شمولها لكلّ علم.
- حصولها عن طريق التلقّي المباشر.
- سبيلها التّجربة الشّخصيّة.
- تميّزها بالجدليّة والدّهشة.
- قوامها المداومة على الذّكر.
- ارتكازها على التّوظيف المكثّف للرّمز خاصّة في الأشعار.

تغنّى الصوفية في أشعارهم من منطلق اعتمادهم التلميح دون التصريح بكل تجليات الجمال حيثما كان وكيفما كان.

الهوامش

[1] الرسالة القشيرية، ص: 223.

[2] المصدر نفسه، ص: 224.

[3] كنز الأسرار، لابن عجيبة، ص: 117، قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط برقم: 2841 كز.

[4] اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، لابن عجيبة، ص: 19، مخطوط رقم: 301، قسم الوثائق بتطوان.

[5] الرسالة القشيرية، ص: 221.

[6] الأذكار، للنووي، تحقيق: د. حامد أحمد الطاهر، ص: 17، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1424هـ/ 2003م.

[7] الرسالة القشيرية، ص: 222.

[8] الرسالة القشيرية، للقشيري، ص: 223.

[9] المصدر نفسه، ص: 223.

[10] المصدر نفسه، ص: 324.

[11] الرسالة القشيرية، للقشيري، ص: 323.

[12] المقدمة في التصوف، لأبي عبد الرحمن السلمي، تقديم وتحقيق: الأستاذ يوسف زيدان، ص: 23، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1429هـ/ 1999 م.

[13] الرسالة القشيرية، ص: 71.

[14] أبيات من قصيدة أبي مدين التلمساني، مخطوط ضمن مجموع برقم: 622، مكتبة الأزهر.

[15] فصوص الحكم، لابن عربي، ص: 218، دار الكردي، مصر، س ط: 1388هـ.

[16] أي المحب لله تعالى.

[17] أي معرفة الله تعالى.

[18] مدارج السالكين، لابن القيم، دراسة وتحقيق: ناصر بن سلمان السعوي وصالح بن عبد العزيز التويجري وعلي بن عبد الرحمن الفرعاوي وخالد بن عبد العزيز الغنيم ومحمد بن عبد الله الخضيري، ص: 3536، دار الصميعي للنشر، الرياض السعودية، الطبعة الأولى: 1432هـ/ 2011م..

[19] أبيات من التائية الكبرى من ديوان ابن الفارض، مطبعة البابي الحلبي، مصر.

[20] ابن الفارض والحب الإلهي، ص: 139، للدكتور محمد مصطفى حلمي، دار المعارف مصر، س ط: 1971م.

[21] مشارق أنوار القلوب، ومفاتح أسرار الغيوب، لابن الدباغ، ص: 37، تحقيق المستشرق: هـ ريترط، دار صادر، بيروت لبنان، س ط: 1379 هـ.

[22] مصطلحات الصوفية، لفخر الدين إبراهيم الهمذاني العراقي، تحقيق محمود درويش، ص: 411، طهران.

[23] مشارق أنوار القلوب، لابن الدباغ، ص: 48.

[24] أبيات من التائية الكبرى من ديوان ابن الفارض.

[25] فلسفة الجمال، لمطار حلمي أميرة، ص: 10، دار المعارف القاهرة.

عبد الرحمان المنيف
الروائي الثائر

هو خبير اقتصادي وأديب وناقد حداثي سعودي وهو واحد من أبرز وأهمّ الروائيين العرب في القرن العشرين؛ استطاع في رواياته أن يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي العربي، ويصف بدقّة متناهية التحولات الثقافية الكبيرة التي حصلت في المجتمعات الخليجيّة النفطيّة. ثوّر الرواية العربيّة وجعل لرواياته صوتا خاصّا لتقول الأشياء دون تلعثم وبشكل جميل من غير أقنعة ومن دون استعارة أصابع الآخرين. مزج في رواياته بين الأدب والسيّاسة وكتب عن المحرمات في السياسة من أجل الحرّية وحقوق الإنسان وكرامته ضدّ القمع وغطرسة الدكتاتوريات العربيّة الجاهلة. فكان من أشد المفكرين المناوئين لمعظم الأنظمة العربية، إنّه الثّائر الروائي «عبدالرحمان المنيف».

ولد عبد الرحمن في الأول من شهر صفر لعام 1352 هـ الموافق 29 ماي 1933م بالعاصمة الأردنية عمان، لأب سعودي وأم عراقية، ينتمي والده إلى قرية قصيبا شمال مدينة بريدة بمنطقة القصيم، وهو من كبار تجار العقيلات الذين اشتهروا برحلات التجارة بين القصيم والشام. توفي والده عام 1355هـ - 1936م وهو لم يتجاوز الثالثة من عمره، فنشأ يتيم الأب ترعاه أمه التي كان لها دور في شحذ همّته وحبّه للعلم، وجدّته لأمّه (من أصل عراقي)، وقد كانت تلك المرحلة «عقد الأربعينيات» من أكثر المراحل أهمّية في تاريخ مدينة عمّان التي وُلد فيها وتنقّل بين حاراتها وجبالها، وسوقها، ووديها (السيل)، ومسجدها الحسيني فتركت هذه الفترة من عمره آثاراً عظيمة في تكوينه على الصّعيد الشّخصي.

درس في الأردن حتى حصل على الشّهادة الثانوية عام 1952 م، ثم انتقل إلى بغداد والتحق بكلية الحقوق لكنه طرد منها سنة 1955 م مع عدد كبير من الطلاب العرب بسبب نشاطه السياسي وانتمائه إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، فانتقل إلى القاهرة لإكمال دراسته بها، ثم ارتحل سنة 1958م إلى يوغسلافيا لإكمال دراسته العليا في جامعة بلغراد الحكوميّة ويتحصّل منها على شهادة الدكتوراه في علم الاقتصاد «مجال اقتصاديات النفط، الأسعار والأسواق» سنة 1961م.

انتقل سنة 1962 إلى دمشق ليعمل هناك في الشركة السورية للنفط ثم إلى بيروت عام 1973 ليعمل هناك في مجلة البلاغ ثم عاد إلى العراق مرّة أخرى عام 1975 ليعمل في مجلة النّفط والتّنمية. غادر العراق في

عام 1981 متجهاً إلى فرنسا ليعود بعدها إلى دمشق عام 1986 ويقيم فيها حيث كرّس حياته للكتابة الأدبيّة. تزوّج عبد الرحمان المنيف من سيدة سورية وأنجب منها ،عاش في دمشق حتى توفي عام 2004, وبقي إلى آخر أيامه معارضاً للإمبريالية العالميّة.

ورغم معارضته الشّديدة لنظام الرّئيس العراقي الرّاحل صدام حسين فقد وقف في صفّ المناوئين للغزو الأمريكي للعراق عام 2003 لأنه كان يعرف جيّدا ما يريد الأمريكان تحقيقه في المنطقة.

كرس نضجه الفكري والثّقافي العام لممارسة الكتابة الرّوائية التي بدأها بعد أن بلغ الأربعين من عمره، ما جعله يصنع لنفسه خصوصيّة أدبيّة مبكّرة وعالما روائيا سرديّا معقّدا، وضع فيه خلاصة رؤيته للحياة، وقد ركّز اهتماماته على حرّية الإنسان، وما يجب أن تكون عليه هذه الحّرية.واهتمّ بشكل مكثّف بالمسألة الإجتماعيّة التي تبرز في رواياته من خلال تركيزه على ظواهر اجتماعية وأنماط محددة من العلاقات المتشابكة بين مختلف الفئات الاجتماعية، وتظهر حدّتها في القمع والاستبداد ووضع المرأة واتساع الهوة ما بين الأغنياء والفقراء.

والمتتبع لأعمال «مُنيف» يجد أنه قد أضاء فضاءً فسيحاً في جوانب هامة من الرواية السياسية العربية وتناول فيها أشكالا وأنماطا جديدة لم تعهدها من قبل. وطوّر في رواياته مقومات التعبير النفسي الباطني العميق، فألتقط الانفعالات الإنسانية لحظة وصولها إلى سطح الوعي في صورتها الأولى، كذلك استيعابه الألفاظ والتعابير التي أحدثتها الثقافة المعاصرة، سيما وأنه كان على اتصال مستمر مع ما تنتجه من دراسات ومصطلحات علميّة حديثة، مسفيدا منها بما ينسجم مع الثّقافة العربيّة، إلى جانب إعطائه مسافة كافية لخصوصيّة هذه الثقافة ونتاجها في الأدب والنقد.

عرف بغزارة إنتاجه الأدبي إذ منح المكتبة العربيّة ما يزيد عن ثلاثين كتاباً شملت أعماله الرّوائية ومؤلّفاته الفكريّة والنّقدية في فنون الرّواية، والفنون التّشكيلية، والسّيرة الذاتية، وسائر الآداب الإنسانيّة. وأُدرجت أعماله ضمن برامج التّعليم في جامعات أوروبيّة وأمريكيّة، ووافقت منظّمة الأمم المتّحدة للتّربية والعلوم والثقافة «يونسكو» على ترجمة أعماله إلى ما يقارب عشرين لغة حيّة في العالم.

من أشهر رواياته «مدن الملح» التي تحكي قصّة اكتشاف النّفط في السّعودية وهي مؤلّفة عن 5 أجزاء، وقد جعلت منه معارضا للسّعوديّة ورواية «شرق المتوسّط» التي تحكي قصّة المخابرات العربيّة وتعذيب السّجون والتي أحدثت ضجّة كبيرة في العالم العربي، باعتبارها أوّل رواية عربيّة تصف بجرأة التّعذيب الذي تمارسه الأنظمة الشّمولية العربيّة. كما تعتبر روايتي «الأشجار واغتيال مرزوق»، و«حين تركنا الجسر» من أفضل الروايات العربية التي اهتمّ بها القرّاء والنقاد في آن. وشارك عبدالرحمان منيف صديقه «جبرا إبراهيم جبرا» في كتابة «عالم بلا خرائط».

كما أصدر كتبا من بينها: لوعة الغياب، والديمقراطية أولاً.. الديمقراطية دائما، والكاتب والمنفى وآفاق الرواية العربية، والعراق هوامش من التاريخ والمقاومة.

على إثر أزمة قلبية غيَّب الموت الروائي عبد الرحمان المنيف عن عمر ناهز السبعين عاما، وذلك بمدينة دمشق يوم السبت غرة ذي الحجة 1424 هـ. الموافق لـ24 جانفي 2004 م بعد ترحال طويل ومناف عديدة..

سهام المكروت بلخير
«شاعرة تونسية»
Belkhirsihem5@gmail.com

عهد

أطلقوا عهدَ، فعهدًا *** لن تعيشوا آمنين
كلنا عهد ولسنا *** قد نعنيكم جبينا
في فلسطين نساء *** غير كل الناس طينا
قد قطعن العهد عهدا *** أن يلدن الصامدين
هن للأعداء حرب *** هن للابن اليقين
هن لن يخشين أسرا *** إن به يوما بلين
مرضعات الشبل درسا *** كون حب الأرض دينا
يا أسيرات وأسرى عهدكم *** أبلى السنين
عهد زارتكم عساها *** بلسما يشفي الحنين
فلتكن عهد وساما *** زانكم زينا وزينا
ولتزد للحاكمين *** جبنهم شينا وشينا
وانتقم يا رب منهم *** وانتصر نصرا مبينا

محمد العشي
«شاعر وكاتب تونسي»
med.echi15@gmail.com

تحيّة إلى أستاذ

أستاذَنا أنتَ الذي علّمتنا
عن مبتدإ الوجودِ، عن معنى الخبرْ

أنْ نعشق الفجرَ
عن لذّةِ المغنى و عن لحنِ الرَّبابِ

و في غياهبِ اللّيلِ الطويلْ
عاشقًا ضوءَ القمرْ

نُشعل أعوادَ الثقابْ
أنت الذي علّمتنا

نبحثُ عن برق المعاني
أن نُحيِيَ المسكونَ بالترحال

في ثنايا الكلماتْ
و التِسآل من أمجادنا

نبحث عن لمْع الوجودِ
أن نشعل الأضواءَ في كهوفِ ماضينا

في تعاريج الخطابْ
و أن نقرأ ما تُخفي سطورُ يومِنا

لا نعرف اليأس المقيتَ
من خلفِ أسوارِ الضبابْ

دأبُنا صنعُ الربيعْ
أنت الذي علّمتنا

من حلمنا ننسجُ ثوبَهُ
أن نرتقي وعْرَ الجبالِ

و من نسغ الحياةْ
لا نبالي بالخطرْ

أنتَ الذي علّمتنا
فالخانع الجبانُ منْ

فنّ الصعودِ فوق أمواج السحابْ
قد يرتضي طعمَ الحياةِ

فنّ السؤالِ الحرّ
بين أرجاسِ الحُفرْ

عبد الله الرحيوي
« طالب بمعهد أبي بكر الصديق
للتعليم الثانوي العتيق بفاس»
arabierrahioui@gmail.com

بشار ليس من البشر

قف بالديار لكي ترى يا ذا الفِكَر ... فعل المهين بن المهين المحتقر

بشار يا شر الخلائق والبشر ... دمرت كل خليقة حتى الحجر

أبليت في الشر الكثير تكبرا ... قتلت في الشعب العديدَ بلا وقر

أرسلت جيشا بالألوف نعده ... هدم القرى فوق الأهالي والحضر

عارضت شعبك بالسلاح قصفتهم ... لا لن تنام لك العيونُ ولن تقر

ما ذنب ذا الجزار أو ذاك الذي؟ ... يشري الدواء أو اشترى بعض الخضر

أتعبتهم جوعتهم أخرجتهم ... ضيعتهم بين الأماكن والحفر

ففلانُ يمشي في الطريق مهللا ... وفلانَ يشكو كلّ ما فيه الضرر

رملت جل نساء شعب أعزل ... يتمت أطفال العوائل والأسر

دبابة طيارة ترمي بهم ... كالمزن تهوي فوقهم بل كالمطر

أسفكت كل دمائهم بل لم تزل ... تبت يداك إليك عن شعب أغر

أغضبت كل المسلمين ألا تـــــرى؟ أضحكت عنك الروسيات بل الغجر

طالت حياتك باحثين عن السبـــب يكفي لشنقك ياعدو المنتظـــر

هل في الورى أدنى وأحقر منك يـــا خس المكانة في الأوائل والأخـــر؟

أنت السفيه الرافضي الصافـــوي أنت الغبي اللوذعي المزدجَـــــر

ماذا تقول عن الألوف قتلتهـــم؟ لا لا مناص ولا هروب ولا مفـــر

الظلم صعب عند ظلمك واحـــدا وذه الألوف وذاك أدهى بل أمـــر

أذنبت ما يكفي الخلائق كلهـم فالذنب ذا إن لم تتب لا يغتفـــر

فالله أكبر منك يا شر المـــلا مهما يطول الليل تقبر في السحـــر

وقفت بجنبك دولة أو قريـــة أو مدشر لا يعرف الحق الأغـــر

فسيوف نصر الله في أعناقنـــا وسيوف نصر اللات عـندك تدخـر

لطفي الدهواثي
« عضو الهيئة العلمية
لمنتدى الفارابي للدراسات والبدائل»
lotfidahwathi2@gmail.com

قبل الوداع

مجتمع مدني فاعل

(1)

للمجتمع المدني دور طلائعي في تنظيم المواطنين في أطر تجعلهم أكثر فاعليّة، وقد بيّنا في مقال سابق بأنّ هذا المجتمع المدني زمن الحرّية غيره زمن ما قبل الثّورة، ذلك لأنّ الدّولة سعت دائما للهيمنة على هذا المجتمع وتوجيهه الوجهة التي تريد لتجعل منه أداة من أدواتها في بسط النّفوذ على المجتمع، ولكنّ الثّورة أحدثت تغييرا كبيرا داخل هذا المجتمع ليعرف طفرة في الحجم والدّور غير أنّ ذلك لا يعني أنّ هذا المجتمع قد استقرّ أو أصبحت له الفاعليّة اللاّزمة.

إنّ التّطور الذي عرفه المجتمع المدني من حيث العدد الهائل للجمعيّات النّاشطة أو من حيث تعدّد مجالات النّشاط لا يعني أنّ هذا المجتمع كان فاعلا، إذ أنّه وباستثناء النّقابات وبعض الجمعيّات الحقوقيّة أو الثّقافية وبعض الأحزاب، فإنّ حركة هذا المجتمع لم تكن ذات فاعليّة محسوسة بحيث يدرك أيّ ملاحظ أثرها في المجتمع.

(2)

الثّورة فعل هدم وبناء وهي مشروع تغيير نحو الأفضل ومن ثمّ فإنّ حركة المجتمع المدني يجب أن تكون حركة فاعلة في اتجاه تحقيق أهداف الثّورة. غير أنّنا نلاحظ في الآونة الأخيرة أنّ انحسار الثّورة وذبول إشعاعها قد كان له تأثير في نشاط المجتمع المدني.

سمّيت الثّورة في تونس بثورة الحرّية والكرامة ولذلك كان من المفترض أن يكون للمجتمع مجال خصب للتّعبير عن الحرّية المكتسبة من خلال الانتقال من المطالبة بالحرّية إلى ممارسة هذه الحرّية ممارسة فاعلة على أوسع نطاق ممكن، غير أنّ ارتباط المجتمع بالدّولة نتيجة حقبة طويلة من الاستبداد كان له الأثر العميق في استحكام عقليّة التّواكل عند النّاس وركونها إلى مطالبة الدّولة بإحداث التّغيير المنشود والانتقال بالمجتمع من مجتمع متخلّف في مجالات عدّة إلى مجتمع متطوّر دون السّعي إلى معاضدة مجهود الدّولة في هذا المجال.

(3)

جعلت «ثورة الكرامـــة» من التّشغيل أحد أبرز الوسائل في تحقيق هذه الكرامة كما جعلت منه أهمّ مطلب من مطالبها، ولئن عدّ هذا المطلب مشروعـــا وكان بحقّ أحد العناوين البارزة للثّورة أمام العدد الهائـــل

من العاطلين عن العمـل، فإنّ سبل تحقيق هذا الهدف النّبيـل كان أحد الأسباب التي كادت تصيب الثّـورة في مقتل .

إنّ الاعتقاد السّائد لدى الغالبيّة العظمى من المواطنين كان ومازال يعتبر الدّولة المسؤولة الوحيدة عن التّشغيل وأن الثّورة ستفشل فشلا ذريعا وينحسر مؤيّدوها إذا لم يتحقّق الشّغل لكلّ المحرومين منه. ولم يترك النّاس للثّورة فرصة التقاط الأنفاس إذ تمّ إغراقها بالمطلبيّة منذ الأيام الأولي وكأن لهذه الثّورة عصى موسى عليه السّلام.

وأمام فشل الدّولة في الاستجابة لهذه المطلبيّة المشطّة وعجزها عن تحقيق مطلب أساسي من مطالب الثّورة بات من الضّروري طرح السّؤال المؤجّل : هل للمجتمع المدني دور في تحقيق أهمّ هدف من أهداف الثّورة وهو التّشغيل؟

إنّ الاعتقاد السّائد لدى الغالبيّة العظمى من المواطنين كان ومـازال يعتبر الدّولـة المسؤولـة الوحيـدة عن التّشغيـل وأن الثّـورة ستفشـل فشلا ذريعا وينحسر مؤيّدوها إذا لم يتحقّق الشّغل لكلّ المحرومين منه.

(4)

تطوّر دور الدّولة من كفالة المجتمع ورعايته بالكلّية إلى دور التّخطيط والرّقابة وتوفير البنية التّحتية ومن ثمّ فقد أصبح للقطاع الخاصّ مجـال واسع للمساهمـة في التنمية والاقتصاد، ولذلك وبدل الاكتفاء بمطالبة الدّولة بتشغيل أبناء المواطنين العاطلين، أصبح من واجب المجتمع المدني أن يلتفت هو أيضا إلى هذه المعضلة التي تهدّد المجتمع بالانفجار والمساهمة الفاعلة في حلّها.

إنّ تعدّد الجمعيّات داخل المجتمع يعني في ما يعنيه حاجة ملحّة لوجودها استجابة لهدف ما يرجى تحقيقه ومن ثمّ فإنّها تحتاج في أدائها لعملها إلى موارد بشريّة تنسجم مع طبيعة دورها من حيث التّكوين أو من حيث النّشاط المنوط بها ولذلك فإنّها ستلعب دور المشغّل لآلاف العاطلين عن العمل مادام لهذه الجمعيّات فاعليّة حقيقيّة ومادام عملها جدّيا ينطوي على حرفيّة ويقوم عليه أناس يتّصفون بحسّ مواطنيّ ينأى بهم عن التّواكل أو الاستعراض.

ولا يقتصر الأمر على الجمعيات الصّغرى والمتوسطة والتي يمكن أن تتعدّد مجالات تدخّلها لتشمل نواح عدّة من الثّقافة إلى التّعليم والبيئة والصحة وغير ذلك، ولكن أيضا تلك التي تهتمّ بالعمل والإنتاج دون غيرهما من مثل الجمعيّات التّنموية أو تلك التي تهتمّ بالمشاريع الصّغرى أو جمعيّات تحصيل الزّكاة أو الشّركات الأهليّة الصّغرى والمتوسّطة وكلّها آليات من إبداع المجتمع المدني بإمكانها المساهمة في التّشغيل المباشـر أو عن طريق المساعدة في البحث عن فرص العمل الفرديّة والجماعيّة.

(5)

نحن على أبواب انتخابات بلديّة والكل يطمح أن تكون انتخابات مفصليّة وأن يكون لها تأثير ايجابي في نسق التّنمية داخل الجهات، غير أنّ العمل البلدي يظلّ عملا متّصلا بالدّولة من حيث الموارد البشريّة والماديّة أو من حيث الإشراف، ومن ثمّ ودون التّقليل من أهمّية البلديّة كمؤسّسة مدنيّة في خدمة المواطن، فإنّ بالإمكان التّفكير في تفعيل دور المجتمع المدني في العمل على النّطاق المحلّي من أجل أن يكون أكثر فاعليّة في النهوض بهذا المجتمع من جميع النواحي. إنّ تنمية المجتمعات المحلّية لا تتمّ فقط بالمشاريع التي تتولاّها البلديّات ولكنّها تكون أكثر جدوى إذا تمّت بواسطة هذه المجتمعات نفسها وللخدمة الاجتماعيّة مقاربة علميّة فاعلة فى هذا المجال وهي طريقة خدمة المجتمع.

طريقة خدمة المجتمع طريقة من طرق الخدمة الاجتماعيّة يستطيع المجتمع المحلّي من خلالها أن يرصد بنفسه جميع مشكلاته ثمّ يقوم بتبويبها حسب الأولوية وحسب الإمكانيّات المتاحة لتوفير الحلول ثمّ يقوم بتجميع موارده البشريّة والماديّة التي يمكن توظيفها في حلّ المشكلات ثمّ يتولى إعداد خطّة عمل لمواجهة كلّ مشكلة مستنفرا جميع طاقاته البشريّة والماديّة.

ولأنّ طريقة خدمة المجتمع طريقة مهنيّة، فإنّ للأخصائيّين الاجتماعيّين دور محوريّ في تنزيلها في الواقع ولكن دورهم ينحصر أساسا في مساعدة المجتمع المحلّي على التّنظم الدّيموقراطي وإفراز قيادات محلّية فاعلة ومساعدة هذا المجتمع في رصد موارده وحسن توظيفها، ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ المجتمع المحلّي لا يستطيع النّهوض بأعباء التّنمية المحلّية وحده ولا بدّ له من الاستعانة بالموارد التي يمكن أن تتيحها له الدّولة أو الجماعات العموميّة أو المجتمع المدني، غير أنّ هذا سيكون بقدر الحاجة وبطرق أكثر جدوى من الناحيتين الزّمنيّة أو الماديّة.

(6)

المجتمع المدني ليس مجتمعا للاستعراض أو للاهتمام بقضايا دون أخرى ولكنّه التّعبير الصّادق عن روح المجتمع الحقيقية وعن طموحه المادّي والرّمزي . ومتى ما أتيح للنّاس مجال للعمل التّطوعي النّافع كان لهم إسهامهم المحسوس كلّ في مجاله ولذلك بالإمكان التّساؤل عمّا إذا كانت أزمة المجتمع المدني هي نفسها أزمة المجتمع الذي يتواكل ويتّكل كلّيا على الدّولة؟ و هل بالفعل مازال هذا المجتمع يتلمّس خطاه أم أنّه أخطأ الطّريق.

المجتمع المدني ليس مجتمعا للاستعراض أو للاهتمام بقضايا دون أخرى ولكنّه التّعبير الصّادق عن روح المجتمع الحقيقية وعن طموحه المادّي والرّمزي.

من كتب الإصلاح

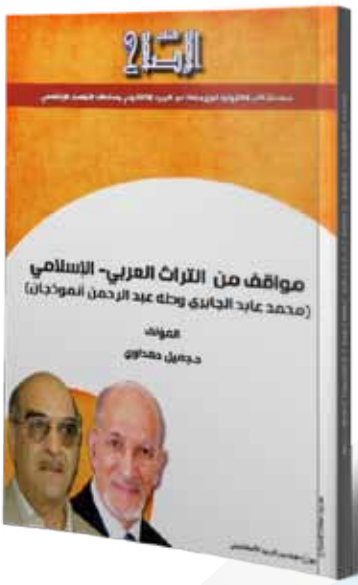

4

مواقف من التراث العربي- الإسلامي
(محمد عابد الجابري وطه عبد الرحمن أنموذجان)

«د. لسعد الماجري»

18

فلسفة الفعل التاريخي
في القرآن الكريم

«لطفي البكوش»

5

السلفية
بين الجحود وبين الجمود

«الهادي بريك»

فرقة الشمس للموسيقى

خيوط الشّمس

خيوط الشّمس ... دايمات المـدّ
والحصّادة ...ما تتحد العـــد
يسلم يمّا ...رحمك اللي يمـد
بالرجّالة...زنود ما تتـــرد
سدّي يمّا ... بيديك المـــلاح
نجمة حمرة واهليل ذبـــاح
أنا وليدك تحتهم نرتـــاح
هم الخيمة ...واسعة والمـراح
سدّي يمّا ...رصّي عالخـــلالة
ما تخلي... ثلة للبدالـــة
ياما ركبوا الشمس والعدالة
شرقي وغربي.. ناصبين ذلاله
نادي يمّا... للصبايا الكـــل
يغزلولك...خيوط من غـــزل
في المسيرة... يد واحدة الكل
يخف الكيل ...يتوزع الحمل
خيوط الشّمس ... دايمات المـدّ
والحصّادة ...ما تتحد العـــد

لسماع الأغنية على العنوان التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=bB9JHssNRxc

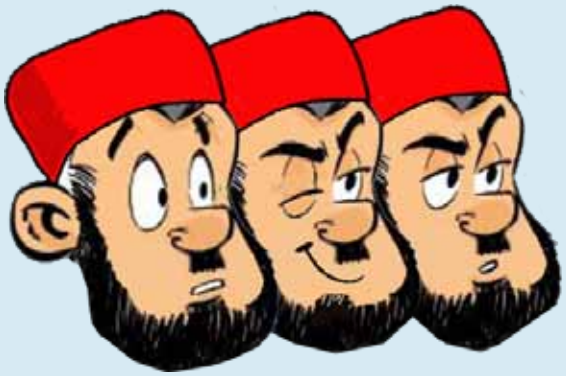

عميرات

تعاركت الريح والبحر.. جات الضربة في السفينة

مجلّة الإصلاح

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

رجب 1439
أفريل 2018

129

http://www.alislahmag.com

يتجدد الموعد معكم إن شاء الله في
شعبان/رمضان 1439 - ماي 2018

130